الأب، الملك، المخلِّص، البطل: السيادة العاطفية وإيروتيكية الولاء في سوريا ما بعد الحرب

توضيح: إن هذه المقالة نتيجة لحوار المنسق أحمد نظير الأتاسي مع التشات جي بي تي لعدة ساعات بالإنكليزية. الأسئلة من المنسق والإجابات من البرنامج. ثم قام المنسق بتجميع وترتيب ما أعطاه التشات وراجع ترجمة التشات إلى العربية. ولا أنشر المقالة بوصفي كاتبها، لكنها مثال ممتاز عن نتائج الحوار بين برنامج عظيم القدرة على الحفظ والتأليف وبين مختص بالتاريخ.

المقدّمة

برز أحمد الشرع، قائد الفصيل المسلّح «هيئة تحرير الشام»، من ظلال صراع طويل الأمد ليشكّل شخصية بارزة في المشهد السوري. كان في الماضي قائداً مطلوباً مع مكافأة مرصودة قدرها عشرة ملايين دولار، لكنه تخلّى عن ماضيه الجهادي ليعيد تقديم نفسه بوصفه زعيماً براغماتياً يسعى إلى إعادة توحيد أمة ممزّقة. ووفقاً للسردية الرسمية السورية، فقد قاد الشرع تحالفاً من الفصائل المتمرّدة أطاح ببشار الأسد، مستبدلاً بزته العسكرية ببدلة رسمية، ومنطلقاً في «هجوم ساحر» لإقناع الزعماء الأجانب والسوريين بأنه قادر على إعادة إعمار البلاد وقيادتها نحو الديمقراطية. بالنسبة لبعض السوريين، يُعَدّ الشرع مخلّصاً حقيقياً من نظام الأسد الإجرامي، بينما يراه آخرون صاحب نزعات استبدادية مع احتمال أن يعمد في المستقبل إلى إحكام قبضته وتطبيق نظام أكثر تشدّداً. كما يعتبره بعضهم مدفوعاً بالسعي إلى السلطة أكثر من التمسك بقناعات أيديولوجية صارمة.

لكن في دمشق، لم يعد «الحب» في صورة سياسة، بل في هيئة شخص. فالسوريون الذين نجوا من أربعة عشر عاماً من الخراب استقبلوا أحمد الشرع —الجهادي الذي تحوّل إلى رئيس— بأوصاف تُستَخدم عادةً للآباء والزعماء المبجلين. وعلى الرغم من لغته المليئة بالكليشيهات، وأخطائه السياسية الواضحة، وارتكاب قواته لمجازر، فإن كل تجاوز كان يُعاد تأويله باعتباره دليلاً على القوة والقدرة. هذه الأنماط الأولية (Archetypes) تُستَنهَض في بيئات إعلامية مشبعة بالعاطفة (جماهير شبكية–وجدانية) قادرة حتى على تحويل العنف والأخطاء إلى براهين على الفاعلية. علاوة على ذلك، فإن هذا التبجيل يستند إلى أنماط ثقافية عميقة الجذور من الملكية الأبوية والبطولة الخلاصية. فحالة الافتتان المفاجئة بأحمد الشرع ليست «كاريزما» بالمعنى الشخصي الذي قصده ماكس فيبر، بقدر ما هي سلطة رمزية نابعة من المنصب نفسه. إن «تبجيل المحرِّر» ليس من إنتاج الكاريزما الفردية، بل من إنتاج القداسة المؤسسية المستمدة من المنصب.

منهجياً، يعتمد البحث على النمذجة الموضوعية (Topic Modeling) لعزل مجموعات الصور النمطية (Tropes) ، وعلى تحليل المشاعر وتوسيم الأسس الأخلاقية (moral foundation tagging) لرسم خرائط الشحنة العاطفية والإطار الأخلاقي. كما تقوم الدراسة بتتبع الأسس الثقافية العميقة لنموذج الأب–الملك–المخلِّص–البطل، منذ جذوره في بلاد ما بين النهرين القديمة مروراً باللاهوت السياسي الإسلامي وصولاً إلى الثقافة الإعلامية السورية المعاصرة، وذلك من خلال سلسلة من المقارنات التحليلية. وتحدّد الدراسة أكواد السيادة العاطفية المتكررة وتُحلّلها:

1. **جسد القائد وبنيته الجسمانية** باعتبارهما دعاية مرئية للسلطة: وذلك من خلال رصد الاستعارات وتتبع المؤشرات الرمزية مثل «الأب» و«الأسد» و«السيف» والإشارات إلى الطول أو المشية؛
2. **الإيحاءات الجنسية** التي تمزج الرغبة بالولاء السياسي: وذلك من خلال مقارنة أنماط الخطاب المشبعة باللغة الجندرية وآليات الإصلاح السردي (narrative repair) التي تحافظ على عبادة القائد؛

3. **المعاجم الأبوية** التي تدمج السلطة في لغة القرابة: وذلك من خلال تحليل لغة «الجماهير العاطفية» وصورة «الأب–رب الأسرة» الفوق-إجتماعي (Parasocial Pater Familias)؛

4. **الإعجاز أو البطولة** التي تؤطّر الأفعال بوصفها أعمالاً خلاصية.

5. **خطاب التبرئة** الذي يمنح الغفران أو التبرير للفظائع: وذلك من خلال فهم العنف بوصفه طقساً للحماية، حيث تتحوَّل الأفعال العقابية—مثل المجازر—خطابياً إلى دليل على الحراسة والرعاية

6. **التقرّب بالترقّع:** وذلك من خلال إظهر كيفية تحوّل الترقّع والبعد الجسدي للقائد عن الناس بشكل متناقض إلى قرب رمزي منهم.

وأخيراً، يتحدّى البحث القراءة الويبرية الخالصة للكاريزما، مقترحاً بدلاً من ذلك تفسيراً للقداسة المؤسسية المرتبطة بالمنصب، والمرتكزة على النمط الأبوي. وتؤطّر الخاتمة الخلاص بوصفه شكلاً من أشكال السيادة العاطفية —أي مورد اجتماعي–سياسي متجدّد للشرعية يستمر ما لم تُخترق أسطورة الأب.

طقسٌ مصغّر للسيادة العاطفية

في العاشر من كانون الأوّل/ديسمبر 2024، وأثناء زيارة أحمد الشرع (المعروف أيضاً بأبي محمد الجولاني) إلى حيّ المزة في دمشق، طلبت امرأة التقاط صورة معه، فأومأ إليها أن تغطّي شعرها بغطاء معطفها (الـ«هودي»). وقد استجابت فوراً، فرفعت الغطاء على رأسها. وعلى الرغم من أنّ الشرع تعامل مع الموقف باستخفاف واعتبره شأناً متعلّقاً بـ«الحرية الشخصية»، فإنّ المرأة، وتُدعى ليا خيرالله، رأت الأمر من زاوية مختلفة تماماً كاستحقاق للأب والقائد (prerogative). لاحقاً وصفت طلب الشرع بأنّه جاء «بلطف وأسلوب أبوي»، وقالت إنّها لم تنزعج وفكّرت بأنّ «القائد من حقّه أن يُقدَّم بالصورة التي يراها مناسبة».[1]

إنّ الإيماءات الجسدية البسيطة —مثل طلب تغطية الشعر— يمكن أن تستحضر مشاعر الخضوع والسلطة، وتُعزّز صورة القائد بوصفه آمراً، أبوياً، ومقدّساً أيضاً (لأنّه طلب الامتثال لأمر ديني إسلامي). إنّ الخضوع الرمزي (هيئة المرأة وهي مغطاة الرأس) يتوافق مع الهالة الحنونة–المُهيمنة التي بدأت تتشكّل حول الشرع، إذ تجمع بين الرعاية الأبوية والهيمنة المنزلية. لقد شهدنا هنا ما يمكن وصفه بـ«طقس مصغّر للسيادة الأبوية» —لحظة تتكثّف فيها شرعية المنصب والولاء المشحون بالعاطفة. فالشرع لا يمارس سلطة تشريعية، بل يمرس سلطة حين يصبح حكمه الشخصي بشأن المظهر وكأنّه مرسوم. وللتبادل بينهما «قواعد بصرية»: غطاء الرأس يعمل كحجاب —رمز كلاسيكي للحشمة— لكنّه مُعاد تأطيره في إيماءة عادية لارتداء الـ«هودي». إنّ الإطار العاطفي لرؤية المرأة لهذا الفعل بوصفه «لطيفاً وأبوياً» يطبّع الخضوع باعتباره رعايةً لا إكراهاً.

[1] "Syria's de facto Leader Defends Telling Woman to Cover her Hair for Photo", *The Times of Israel*, 20 December, 2024. https://www.timesofisrael.com/syrias-de-facto-leader-defends-telling-woman-to-cover-her-hair-for-photo/
"Syrian Rebel Leader Dismisses Controversy Over Photo with Woman," *Saudi Gazette*, December 20, 2024. https://saudigazette.com.sa/article/648002
وأوضحت الصحيفة أن الشرع دافع عن نفسه قائلاً: "لم أجبرها. إنها حريتي الشخصية. أريد أن تكون صورتي كما أحب."

إنّ تأطير الحادثة على أنّها «خضوع طقسي مصغّر في لقاءات القائد–التابع» يفتح المجال لمقارنات غنيّة مع «لقطات الصور» المشابهة. ففي السياقات العربية:

- **حافظ الأسد وبشار الأسد** —كانت القنوات الرسمية غالباً تُظهر مشاهد نساء يقدّمن الزهور، أو يعدّلن اللباس في حضورهما. لم تكن هذه المشاهد «عفوية» بل مشفّرة بوصفها علامات خضوع للحاكم الأبوي.
- **صدام حسين** —تُظهر لقطات مصوّرة نساء يعدّلن الحجاب أو يخفضن البصر قبل السلام عليه، حتى في اللقاءات غير الرسمية. أحياناً كانت المرأة تشدّ الحجاب أكثر قبل المصافحة.
- **الملك عبد الله الثاني** —في الجولات الميدانية في المناطق الريفية، تقوم كبيرات السنّ أحياناً بإعادة ترتيب الشال قبل تحيته، ويتأكد المصوّرون الملكيون من التقاط هذه الإيماءات كجزء من لوحة الاحترام.

وفي السياقات غير العربية:

- **البابا فرنسيس / البابا يوحنا بولس الثاني** —كثير من النساء الكاثوليكيات يضبطن الحجاب أو غطاء الرأس قبل تلقي البركة؛ حتى لو كان الأمر اختيارياً، يُقرأ هذا الفعل كامتثال لقدسية المنصب.
- **آية الله خامنئي** —تُظهر وسائل الإعلام الإيرانية النساء وهنّ يشدّدن الحجاب قبل الاقتراب منه، ويُحرَّر المشهد للتأكيد على اللياقة وقبول سلطة القائد الدينية.
- **دونالد ترامب** —في التجمعات، تُظهر وسائل الإعلام اليمينية مؤيّدات يعدّلن الشعر أو الملابس قبل معانقته، بوصف ذلك «ظهوراً بأفضل صورة أمام الرئيس».

وعبر هذه السياقات جميعاً، حتى حين يكون الامتثال محدوداً (وضع غطاء، شدّ وشاح)، يصبح تعديل الجسد استجابةً لقرب القائد إشارة علنية على الاعتراف بالتبعية.

كما أنّ منظور النساء نفسهنّ يعكس غالباً اندفاعاً عاطفياً وإخلاصاً طوعياً. فكثيرات يعدن تأويل الخضوع لاحقاً بوصفه مودةً أو إعجاباً — «أردت أن أبدو لائقة أمامه» أو «هو يستحق الاحترام»— في تكرار لصيغة المرأة السورية التي وصفت الشرع بأنّه «لطيف وأبوي». وهذه الحركة الخطابية تُشبه منطق تبادل الهدايا عند موس (*Mauss*) المرأة «تهب» الامتثال كعرض شخصي، ما يحوّل الأمر إلى فعل احترام متبادل. وحتى حين يكون الطلب صريحاً (كما في حالة الشرع)، فإنّ السرد اللاحق غالباً ما يزيل أي إكراه: «لم يُجبرني، لكن شعرت أنّه الصواب». وهذا يتسق مع نظرية التنافر المعرفي(*Cognitive Dissonance*) ، إذ يُعاد تأطير الطاعة كفعل اختياري للحفاظ على احترام الذات. وفي السياقات الإسلامية والمسيحية، تُروى الحشمة باعتبارها ترقية للموقف: «هكذا يُقابَل رجل من رجال الله» أو «رجل يحمل الوطن». وبذلك يصبح فعل الحشمة طقساً روحياً، لا سياسياً فحسب.

يمكن مقارنة هذه الإيماءة المطيعة بطقوس المثول أمام الملك الحيّ، حيث كان الاقتراب من الملك يتضمّن إيماءة الـ -šalli (التغطية) قبل الكلام، وهي مرتبطة بالهالة الإلهية للملك. وفي طقوس الاستقبال في البلاطات الآشورية والبابليّة الجديدة، كان الملتمسون يضبطون

ملابسهم قبل المثول أمام الملك، وغالباً يغطّون الرأس أو يجرّون الأطراف المزخرفة على الرأس كعلامة خضوع وطهارة طقسية. وفي البلاط الروماني الإمبراطوري، كان تغطية الرأس (*capite velato*) إلزامياً في طقوس معينة؛ وفي الروايات النسائية كان يُؤطَّر كتشريف للحضور أمام الإمبراطور. إنّ «لقطة الصورة» هنا تعمل بوصفها دليلاً على هيمنة القائد، وبوصفها مادّة لصناعة الأسطورة —حين يرويها الطرف الخاضع لاحقاً بصيغة الإخلاص الطوعي، تتحوّل الأوامر إلى قداسة بأثر رجعي.

خلاصة القول، تدمج مثل هذه اللحظات بين السلطة المؤسسية —سواء أكانت رئاسة أو ملكية أو بابوية— وبين إشارات الخضوع المجسَّدة مثل التغطية، أو الانحناء، أو خفض البصر. فما يبدأ كإيماءة عابرة يصبح عرضاً مكثّفاً لعلاقة القائد–التابع، حيث تمتزج هيبة المنصب بالرقص الحميمي للإذعان. ويؤكّد «الطقس المصغّر» حقّ القائد في الأمر، ويطبّع استعداد التابع للامتثال، مغروساً في عادات الجسد. ومع مرور الوقت، تؤدّي إعادة إنتاج هذه الإيماءات وبثّها في الصور، وشاشات التلفزيون، ومنصّات التواصل الاجتماعي، إلى تحويل هذه العلامات الجسدية إلى رموز أيقونية للسيادة، سياسية–أبوية–مقدسة في آن واحد.

التبجيل الإيروتيكي – فرط الذكورة كلغة سياسية

إنّ القراءات الجندرية لهذا النمط من التبجيل أساسية، إذ إنّ امتثال المرأة يحمل في العادة شحنة مزدوجة: خضوعاً سياسياً وإعجاباً مشبعاً بالإيحاء الجنسي في آن واحد. وفي كلٍّ من السياقات القديمة والحديثة، يُعرَض جسد الحاكم بوصفه لوحةً تجسّد شرعيته الإلهية–السياسية. سنرى في ما يلي كيف أنّ التقديم الإعلامي لأحمد الشرع، فضلاً عن افتتان الجمهور به، كلاهما يتحدثان بلغة عمرها آلاف السنين، حيث تندمج الفحولة والقوة والجاذبية التي لا تُقاوَم في «حقّ مقدّس» للحكم.

في الساحة السورية، تتخذ اللغة منحى عاطفياً إلى حدّ الترميز الإيروتيكي، إذ تمتزج رموز الإخلاص بالعناصر الجنسية. ففي 24 شباط/فبراير 2025، كتبت الصحفية نسرين طرابلسي في صحيفة *الثورة* مقالاً بعنوان: «لماذا النساء راضيات عن الرئيس أحمد الشرع».[2] تقول في نصها:

> «دخلَ المنتصرُ المظفرُ مصحوباً برجالهِ الوسيمينَ الأشداءِ الملثمينْ ... فتدفقت أحاديثُ الناسِ بسيلِ الإعجابِ والمديحِ لشخصيةِ (أحمد الشرع) ... لأنَّ عينَ المحبِ عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ، ولا بدَّ من آراءٍ تشرحُ وتحللُ وتحافظُ على توازنِ الرأي العامْ ... معظمُ الإجاباتِ عن هذا السؤالِ جاءت متشابهةً تقريباً، الكاريزما والحضورُ والهدوءُ والاتزانُ والذكاء وجمالُ الشكلِ وسماحةُ الملامحِ والتعابيرُ والصدقْ. باختصار، وُضِعتْ كلُّ صفاتِ الرجولةِ مجتمعةً بأبهى صورةٍ في أجملِ إطارْ».

وحين سألت الصحفيةُ سيدةَ متخصّصة في تعليم الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة من مدينة حمص، عن سرّ إعجاب النساء بالشرع، أجابت:

[2] نسرين طرابلسي، "لماذا النساء راضيات عن الرئيس أحمد الشرع"، موقع صحيفة الثورة، 24 فبراير، 2025.
https://thawra.sy/?p=627887

«أشارت ... إلى الهالةِ الدينية التي تَسِمُ تصرفاتِ الرئيسِ أحمد الشرع وقالت: على الصعيدِ الشخصيِ، أشعر بالتشاركيةِ والشبهِ بينهُ وبين بيئتِي ومجتمعي في حيّ بابا عمروْ، والمجتمعِ الذي أعيشُ وأعملُ فيهِ في دولةِ الكويتْ. كما أرى أن تاريخَهُ النضاليَ في العراقِ الذي يلتبسُ على البعضْ، ماهوَ إلا فزعةَ الأخوةِ والعروبةِ والدينِ لشابٍ ينقّذُ ولا يكتفي بالقولْ».

أمّا التعليقات على منشور على صفحة وكالة *INT* على الفيسبوك، التي أعادت نشر المقال نفسه ولكن تحت عنوان مزيّف «لماذا تُعجب النساء بالرئيس أحمد الشرع»، فقد أظهرت لغة أكثر صراحة في الإيحاءات الجنسية، حتى ولو كانت بصيغة تهكّمية: «أنا أعرف رجالاً سيصلون للنشوة إذا ذكرت اسمه ثلاث مرات». وعلّق آخر مشبّهاً الظاهرة بإعجاب المعجبات ببشار الأسد اللواتي كنّ «في غرام عينيه الزرقاوين». وسخر آخر قائلاً: «اذهبوا وانظروا كيف جعلت فتيات قسد من مظلوم عبدي روميو عصرنا، رغم أنّه ليس وسيماً»[3].

وفي أواخر كانون الثاني/يناير 2025، ظهرت على وسائل التواصل الاجتماعي السورية حملة وسم بعنوان «منحبك في الله»، ترافقها صورة وجه الشرع مؤطَّراً بالعلم السوري الجديد كالهالة.[4] ورغم أنّ العبارة ظاهرها حب أفلاطوني وإطارها ديني إسلامي، لكنها تستحضر رصيداً عميقاً من لغة الإخلاص الروحي، وتعيد صدى صيغ واردة في الأدب الحديثي والشعر الصوفي، حيث يُعَدّ «الحبّ في الله» أعلى وأصفى أشكال المودّة. ففي الشعر الصوفي الموجَّه إلى النبيّ محمد أو الأولياء أو الله ذاته، غالباً ما يتداخل الشوق الروحي مع المجاز العاطفي، وأحياناً الإيروتيكي، لتقديس التعلّق الإنساني باعتباره علامة على الرضا الإلهي. وفي الحالة السورية، أُعيد توظيف هذا الأسلوب تجاه شخصية سياسية. أمّا التكوين البصري للصورة—وجهه مُحاط بالعلم كهالة—(*Nimbus*) فيُضخّم النبرة القدسية، مستدعياً رسوم المخطوطات الإسلامية الوسيطة التي تُظهر الحكّام أو الأنبياء بهالات نور.

إنّ هذا المزج بين الحبّ الديني والولاء السياسي له جذور تاريخية عميقة. ففي بلاد ما بين النهرين القديمة، تصف الترانيم السومرية والأكادية الملوك مثل شولگي أو گلگامش الحاكم بأنّه «محبوب الآلهة» وتدعو الشعب إلى «محبّة الملك» باعتباره عطية إلهية للأرض. وفي إحدى الترانيم، يُشاد بشولگي بوصفه «الراعي الذي يزرع الفرح في القلوب» و«الذي يشعّ بهاؤه على الأرض»،[5] تماماً كما يدعو مؤيّدون سوريون اليوم اللهَ أن «لا يحرمنا من وجهك المهيب». وتشير نقوش آشورية إلى رعايا يتشبّثون بالملك كما يتشبّثون بالإله، جامعِين الولاء والاعتماد والرهبة في وضعية عاطفية واحدة. وفي الحالتين، فإنّ محبّة الحاكم ليست مجرّد شعور، بل هي لاهوت سياسي شعائري، تُربَط فيه عاطفة الشعب بالنظام الكوني الذي يجسّده الحاكم.

---

[3] خبر مقالة **صحيفة الثورة** على صفحة موقع **INT** مع صورة محرفة للعنوان تقول "لماذا أعجبت النساء بالرئيس أحمد الشرع". 25 فبراير، 2025.
https://www.facebook.com/groups/intsyria/posts/4055658274760254/

التعليقات:
د. ع.: "طب انا بعرف رجال بتقلهن اسمو تلات مرات بيوصلو للاورجازم"
ر. م.: "لانو جولاني محررنا، جولاني قائدنا"
علي فون: "لأنو أسمر ملتحي"
ش. ح.: "على كروبات النساء مو طبيعي التمجيد بالجولاني ونفسهن كانوا يتغزلو ببشار وعيونه الزرق .وخصوصا محافظة معينة، الكولكة واصلة للسما.....فضحونا قدام مناصري الذكورية".
ح. ع: "طيب هاد عالاقل حليوة، روح شوف بنات قسد عاملين مظلوم عبدي روميو العصر، مع انو لا شكل ولا خرا".

[4] "من منحبك يا كبير إلى منحبك بالله"، **موقع أخبار لادئية خاصة وسورية عامة**، 1 فبراير، 2025.
https://www.facebook.com/photo/?fbid=122121553268683861&set=a.122094160532683861

[5] ETCSL (Electronic Text Corpus of Sumerian Literature). 2.4.2.03 *Shulgi A*. Oxford University.

وبعبارات عاطفية، فقد استثمرت حملة كانون الثاني/يناير 2025 البنية النحوية الرمزية (symbolic grammar) ذاتها التي تعود إلى العصور القديمة: الولاء السياسي مؤطَّر في صورة حبّ مقدّس، يُصوَّر فيه القائد في آنٍ واحد كحامٍ، وأب، وحبيب شبه إلهي. تحوّلت وسائل التواصل الاجتماعي إلى فضاء طقسي تُؤدّى فيه هذه المحبّة، وتُسجَّل بالإعجابات والمشاركات، حتى تحوّل الوسم المرافق لها إلى ترنيمة معاصرة للملكية.

على صفحة فيسبوك عامة باسم أحمد عقدة، وجّه الكاتب رسالة إلى «سيدي الرئيس أحمد الشرع» وصفه فيها بأنه «قمر بني أميّة وزعيمهم، وفخر بني أميّة وحليمهم، وسيف بني أميّة وفارسهم، الجميل البهيُّ البسيط الحييُّ الرجلُ الرجل في زمن عزّ فيه الرجال»[6].

بين الرجال، تشير عبارة «البهيّ» إلى نوع من عبادة البطل ممزوجة بإيحاءات «رومانسية الأخوّة» (*bromance*) ، إعجاب يجمع بين الفحولة والوقار وألفة المحاربين. أما بين النساء، فإن أوصافاً مثل «رجولي» و«أريد الزواج به» تكشف عن رغبة جنسية مشبّعة بالرهبة السياسية، نوع من الولاء يمزج الانجذاب الشخصي بالولاء للسلطة. هذا التزاوج بين الجاذبية الإيروتيكية والشرعية السياسية يكرر تقليداً قديماً في الشرق الأدنى القديم، حيث كانت الجمال نفسه علامة إلهية. ففي أناشيد حب دموزي–إنانا (حوالي 2000 ق.م)، يُشاد بالملك–الراعي بصور تمزج بين عذوبة المشهد الرعوي وجلال القامة:

«لقد نثر الراعي الفرح في قلبي،
دموزي، حلاوة جماله كعسل التمر،
حبيبي، متعة عيني،
يقف شامخاً كالأرز في قلب البستان،
لقد سحرني، ولن أتركه أبداً».

إن هذا الشوق الإيروتيكي نحو الحاكم —الذي يجمع بين مجاز الأرز الشامخ وحلاوة العسل— يجد نظيراً في اللغة الموجّهة اليوم إلى الشرع، حيث يُقدَّم طوله وجماله وحضوره كعلامات على أهليته للحكم. وبالمثل، في ملحمة جلجامش (اللوح الأول، النسخة البابلية القديمة)، تُختفى سطوة الملك الجسدية والأخلاقية بلغة تمزج بين الجاذبية، والرضا الإلهي، والبسالة القتالية:

«متفوّق على جميع الملوك، بطل في القامة،
ابن أورك الشجاع، الثور الوحشي الجامح،
في المقدّمة يقود، وفي المؤخرة موضع ثقة رفاقه،
شبكة جبّارة، حامٍ لشعبه،

[6] **صفحة أحمد العقدة**، 20 ديسمبر، 2024، https://www.facebook.com/ahmadokde
سيدي الرئيس، قمرُ بني أميّة وزعيمهم، فخرُ بني أميّة وحليمهم، سيفُ بني أميّة وفارسهم، الجميلُ البهيُّ البسيط الحييُّ الرّجلُ الرجلُ؛ في زمنٍ عزّ فيه الرجال. أدام الله علينا ظلّكم وعزّكم ومجدكم ولا حرمنا من طلّتكم وهيبة حضوركم ... نحبّك ونحبُّ من يحبك، ونكرهُ ونُبغض ونبطشُ بمن يكرهك.
https://www.facebook.com/plugins/post.php?href=https%3A%2F%2Fwww.facebook.com%2Fahmadokde%2Fposts%2Fpfbid035xqD2upaBpuEpNBnWDrDZyKSXBJVoV6iJ5wysuMihA1Fm8z2czGgt9dCZvihcPpLl

موجة طوفان مدمّرة، لا تصدّها حتى الجدران الحجرية،
ثلثاه إله، وثلثه بشر»[7].

إن لقب «الثور الوحشي»، والتركيز على القامة الفارعة، وثقة الرفاق العميقة، كلّها تتردّد أصداؤها في أوصاف الشرع اليوم مثل «وسيم، رجولي، بهي»، حيث تصبح البنية الجسدية والكاريزما الشخصية جزءاً لا يتجزأ من الأسطورة السياسية.

في الأيقونغرافيا والنصوص الآشورية الحديثة، تجسّد الملكية في قامة مثالية: أكتاف عريضة، عضلات مشدودة، ولحية مصفّفة بعناية. لم يكن هذا جمالاً شكلياً فحسب، بل «فيزيونوميا للحكم» تُشير إلى القوة الجسدية والرضا الإلهي والجاذبية معاً. ففي نقوش سنحاريب (القرن السابع ق.م):

«الملك، الذي يملأ مجده الأرضين،
والذي جعل الآلهة بهاءه كاملاً،
القوي، الذي لا يُغلب في المعركة،
الراعي الذي يوقّر الرخاء للشعوب،
وصورته كاملة كتمثال إله».

هنا، يندمج البهاء الإلهي والهيمنة العسكرية والكمال الجسدي في كلّ واحد. وتجد هذه الصيغة انعكاساً مباشراً في خطاب فرط الذكورة المعاصر، حيث تصبح البنية الجسدية للقائد وعنفوانه مخزوناً لرأس المال الرمزي. في نقوش آشور ناصر بال الثاني (القرن التاسع ق.م) تتبلور الصيغة بشكل أوضح، بمزج الكمال البطولي مع اللامغلوبية وصور الوحوش:

«أنا آشور ناصر بال، الملك القوي، ملك الكون، الأمير الذي لا مثيل له،
الذي بمعونة آشور سيده لا نظير له بين حكّام الجهات الأربع،
البطل الكامل، الرجل القوي،
الذي يطأ أعناق أعدائه،
ويدوس الأرضين كثور وحشي».

إن صورة «الثور الوحشي» والتفاخر بوطء أعناق الأعداء هي نماذج ثابتة في ملكية الشرق الأدنى القديم، حيث يُؤطَّر التبجّح العسكري باعتباره مأذوناً به إلهياً. وفي السياق المعاصر، نجد لغة موازية في أوصاف شخصيات مثل الشرع: «المقاتل»، «الرجل القوي»، «فارس الحصان» الذي يؤكّد جسدُه وهيئتُه حقَّه في القيادة.

في 20 شباط/فبراير 2025، انتشرت على وسائل التواصل السورية صور للشرع يمتطي حصاناً أسود، مرتدياً سترة جلدية سوداء.[8] كانت الرمزية البصرية فورية ومتعدّدة الطبقات: الحصان —رمز تقليدي للسرعة والسيطرة والهيمنة الأرستقراطية. وقد قيل إن الفرس كان ملكاً

[7] Benjamin R. Foster, *Before the Muses: An Anthology of Akkadian Literature*, 3rd ed. Bethesda, MD: CDL Press, vol. 1, 2005, pp. 227–229 (Tablet I, lines 28–50: "Surpassing all other kings… wild bull on the rampage").

[8] "بالجينز والسترة.. فيديو الشرع على الحصان يثير التفاعل"، **موقع سكاي نيوز**، 20 فبراير، 2025.

لماهر الأسد، «الرجل الثاني القوي» سابقاً في سوريا. وإن صحّ ذلك، فقد حملت الصورة إيحاء «غنيمة الحرب»، بما يوحي بالتغلّب على خصم «ألفا» آخر. أما السترة الجلدية السوداء فاستحضرت رموز الرجولة المعاصرة من تمرّد وخشونة وخطر كامن، عاكسة بصرياً الزي القتالي الداكن للأبطال القدامى.

هذا المشهد ليس بلا سابقة تاريخية. ففي النقوش الجدارية الآشورية، يظهر الملوك على خيول ضخمة العضلات، بحيث تصبح الحيوانات امتداداً لجسد الملك، دالّة على قدرته على إخضاع الطبيعة والأعداء. وفي الأسطورة الرافدية، يظهر دموزي/تموز كسيّد للحيوانات النفيسة، وسيطرته عليها مجاز للقوة الجنسية والسلطة السياسية. النقوش الآشورية الجديدة تصف الملوك بأنهم يسيطرون على «خيل العاصفة»، كمجاز لقيادة الكون. أما في مشاهد تسليح جلجامش، فإن الزينة والأسلحة المخصّصة تصبح «دروعاً بصرية» للكاريزما، تعلن الجاهزية للحرب بقدر ما تعلن الجاذبية الشخصية. من هذا المنظور، فإن صورة الشرع على الحصان الأسود ليست مجرّد لقطة معاصرة للعلاقات العامة، بل إعادة تمثيل —عن وعي أو غير وعي— لبنية رمزية قديمة، حيث يصبح تحكّم القائد بالحصان القوي تجسيداً حيّاً لقوته ونصره وحقه في الحكم.

كما تتداول الإنترنت مقاطع للشرع وهو يسدّد كرات ثلاثية بسهولة،[9] مجسّداً الدقّة والسيطرة والهدوء الواثق —أداء معاصر لمهارة محكمة أمام جمهور. في العصور القديمة، عرض ملوك سومر والحثّيون مهاراتهم في ألعاب عامة طقسية —الصيد، الرماية، وسباقات العربات— لا للترفيه فحسب، بل لتأكيد الرضا الإلهي والكمال الجسدي. في «إعلان تيليبنو» الحثّي (القرن السادس عشر ق.م) نقرأ:

«تيليبنو رجل عادل، رجل باسل،
ذراعه قوية، وكلماته موثوقة،
حين يأخذ الرمح، يرتدّ العدو،
وحين يركب عربته، تفرح الأرض».

وفي الإطارين القديم والمعاصر، يفرح الجمهور بعرض القائد لمهارته، ويراه دليلاً على أهليته للحكم. إن مآثر جلجامش المبكرة —مصارعة إنكيدو، وقتل همبابا—كانت هي الأخرى منافسات جسدية مؤطَّرة كعروض عامة، تربط القوة بالمشهدية بالشرعية في أداء واحد متكامل.

وقد طلبت من التشات جي بي تي أن يؤلف قصيدة على الطراز الرافديني القديم في وصف الشرع:

الشرع، الجبّار، راكب الجواد الأسود

«المختار بالقدر، الذي تكلَّل جبهته بنور الملك،
يمتطي الجواد الأسود، فرس الأمير المهزوم،
وينحني قلب الوحش لإرادته.

بالجينز-والسترة-فيديو-الشرع-الحصان-يثير-التفاعل-https://www.skynewsarabia.com/middle-east/1778475

[9] [9] إيمان جملين، "دبلوماسية كرة السلة.. الشرع والشيباني يسددان رميات ثلاثية قبل زيارة باريس"، **موقع الجزيرة**، 6 أيار، 2025
https://www.aljazeera.net/misc/2025/5/6/على-طريقة-أوباما-وأردوغان-الشرع

"Syrian President Ahmad Al Shara and Foreign Minister Asaad Al Shaibani were seen playing basketball together on a court in Damascus,"
https://www.facebook.com/share/v/19kPz6uCxE/

مرتدياً جلد العاصفة، أسود كسحابة الرعد،
يمشي على الأرض كما مشى جلجامش عبر أبواب أوروك.
في ساحة الكرة، يقذف الكرية إلى ما وراء مدى الرجال،
ثلاثاً في ثلاث، فتعلو صيحات الجمع كما علا هدير الأرز لهمبابا.
ينظر الرجال إلى هيئته ويقولون: «هو وسيم كالأسد الفتي،
وجهه محاط بهالة كما تحيط الشمس بالفجر؛
لو لم أكن أخاه في السلاح، لحسدت قوته».
وتقول النساء في الأسواق وفي ظلّ الأسوار:
«هو رجولي كثور السماء الوحشي،
ليأخذني إلى بيته، ففي ذراعيه مأوى البلاد».
هكذا يقف، في الجلد والمجد،
محارباً وراعياً، فحلاً كدموزي،
لا يُقاوَم كما حين وقع بصر عشتار على ملك أوروك.
عضلاته أوتار قوس إنليل،
قامته أرز الجبل،
واسمه يُتلى مهابةً في قصور الأمراء وفي همس العشاق».

إن عمل مؤسسة دعاية الشرع على صورته ليس اختراعاً رقمياً حديثاً، بل إعادة بث عالية الدقة لأقدم لاهوت سياسي في الشرق الأدنى القديم. في كلٍّ من عبادة الشرع المعاصرة وملكية بلاد الرافدين، لم يكن الكمال الجسدي والجاذبية الجنسية صفات خاصة، بل عملات عامة للشرعية. في العصور القديمة، ارتبط ذلك بالنظام الكوني: فالملك الفحل يضمن خصوبة الأرض والشعب. أما اليوم، فيعمل عبر «الجماهير العاطفية»، حيث تصبح صور إنستغرام للقائد على حصان أو وهو يسدّد كرة ثلاثية دليلاً على الكفاءة والهيمنة والجدارة بالحكم.

ملكية الشرق الأدنى القديم تمزج الفحولة، والطول، والجمال، والبراعة الخارقة. جلجامش «ثلثاه إله» شامخ لا يُقاوَم؛ دموزي/تموز يحوز الخصوبة الرعوية والجاذبية الإيروتيكية؛ طقوس أبطال الحثّيين–الحوريين ولاحقاً الإغريق تؤطّر الحامي الوسيم العنيف؛ الهاغيوغرافيا المسيحية والإسلامية لاحقاً تجعل ضبط النفس الزهدي (المقابل للرجولة القديمة) كَكاريزما. أوصافك المعاصرة—«طويل»، «رجولي»، «مشية واثقة»، «يفيض ذكاءً»—هي نموذج لما يمكن أن نسمّيه «السيادة الفيزيونومية». والإيروتيكية (غيرة الرجال، وأحاديث الزواج بين النساء) تلائم جمالية سياسية ذكورية كما وصفها جورج ل. موس (1996)، حيث تصبح ملامح القائد تكثيفاً بصرياً للفحولة والسلطة

والقيمة الأخلاقية؛[10] وكما لاحظ إلياس كانيتي (1960)، فإن السيادة المجسَّدة تجذب الحشود إلى علاقة هي مزيج من الرهبة والتماهي؛[11] بينما يربط ثيودور أدورنو وآخرون (1950) ذلك بانجذاب «الشخصية السلطوية» إلى الشخصيات التي تجسّد علناً القوة والقدرة على الأمر.[12]

ديناميكيات البطل–المرشد والرفيق–المحارب الذكورية

في 14 أيار/مايو 2025، التقى الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بالرئيس السوري أحمد الشرع على متن طائرة «إير فورس ون» في طريقهما إلى قطر. وبعد اللقاء، وصف ترامب الشرع بأنه: «شاب، وسيم. رجل صلب. له ماضٍ قوي. قوي جداً. مقاتل».[13] إن لغة ترامب هنا تميل إلى الحميمية، بل حتى إلى الإيحاء الإيروتيكي —فكلمتا «شاب» و«وسيم» ليستا من المفردات الدبلوماسية المعتادة. وحين تقترنان بعبارات مثل «رجل صلب» و«مقاتل»، فإنهما تُنتجان صورة إعجاب عضلي تدمج بين الدبلوماسية السياسية والإعجاب الشخصي الذكوري. وفي الخطابَين الشعبي والأكاديمي، غالباً ما يُستخدم مصطلح «البرُومانْس» (*Bromance*) للإشارة إلى لغة حانية علنية بين رجال تحاكي التعبير الرومانسي. نقترح هنا أنّ ترامب لا يُعبّر عن إعجاب حقيقي بالشرع بقدر ما يعكس لغة مضيفه السعودي محمد بن سلمان، «الأب الجديد» الشاب والصلب للمملكة.

وفي 14 أيار/مايو 2025، في قصر الرياض الملكي، وقف أحمد الشرع بين الرئيس الأمريكي دونالد ترامب وولي العهد السعودي محمد بن سلمان —ليس كمجرد فاعل سياسي، بل كندّ ذكوري بين رجال أشداء. إن المصافحة القوية مع ابن سلمان ومديح ترامب («رجل صلب»، «وسيم»، «شاب») تستحضر جمالية «رفيق البطل» في الملاحم القديمة —حيث يُؤكد البطل لا بالنسب فقط، بل بالاعتراف الجسدي–المرئي من رجال أبطال آخرين. هذا العرض الثلاثي يصبح طقس تضامن ذكوري، يعيد تثبيت موقع الشرع ضمن «بانثيون» السلطة الرجولية المكوّن من الحضور الجسدي والحميمية العلنية.[14] المصافحات متينة، والابتسامات ودودة للغاية؛ ابن سلمان أظهر هذه الرجولة أيضاً مع بوتين وترامب، عبر «السلام بالقبضة» (*Fist Bump*). إن القبضة الصلبة بين الشرع وابن سلمان تجسّد الثقة والهيمنة والتحالف.

إن مثل هذه اللغة —خصوصاً في سياق دبلوماسي علني بين رجلين— تشير إلى إعجاب طقسي متبادل يتجاوز الرسميات ويمسّ مستوى من الألفة الذكورية. إن مديح ترامب الصريح —بوصف الشرع بـ«شاب، وسيم... رجل صلب»—يمثل (لنفسه أو نيابةً عن ابن سلمان) شكلاً من الإعجاب الرجولي الذي يحوّل الاجتماع الثنائي إلى إيماءة «برُومانْسية» تعزز صورة الشرع كـ«محارب–بطل أنيق» في نظر

[10] George L. Mosse, *The Image of Man: The Creation of Modern Masculinity*, New York: Oxford University Press, 1996.
[11] Elias Canetti, *Crowds and Power*, New York: Viking Press, 1960.
[12] Theodor W. Adorno, Else Frenkel-Brunswik, Daniel Levinson, and Nevitt Sanford, *The Authoritarian Personality*, New York: Harper, 1950.
[13] Ewan Palmer, "Trump Sucks Up to Bin Laden's 'Attractive' Ex-Henchman," *The Daily Beast*, May 154, 2025. https://www.thedailybeast.com/donald-trump-sucks-up-to-attractive-former-al-qaeda-fighter-syrias-president-ahmed-al-sharaa/
Staff Writer, "Trump calls Syrian President 'attractive, tough'. He was once was a designated US terrorist and had ties with Al Qaeda," *The Economic Times*, May 14, 2025. https://economictimes.indiatimes.com/news/international/global-trends/us-news-trump-praises-syrian-president-ahmed-al-sharaa-attractive-tough-but-he-was-once-was-a-designated-us-terrorist-had-ties-with-al-qaeda/articleshow/121168448.cms
[14] Zeke Miller, Jon Gambrell and Aamer Madhani, "Trump meets with Syria's interim president, a first between the nations' leaders in 25 years," *AP News*, May 14, 2025. https://apnews.com/article/trump-syria-saudi-arabia-sharaa-assad-sanctions-bb208f25cfedecd6446fd1626012c0fb

السوريين وفي نظر الجمهور الدولي من الرجال. إنها حالة من «محاكاة فرط الذكورة»—(*Hyper-Masculine Mirroring*) حيث يقوم قادة ذكور بارزون بالإعجاب ببعضهم بعضاً علناً، على نحو يرسّخ صورة ذكورة أسطورية مشتركة. وهنا نجد «تحويلاً مزدوجاً»: فالشرع ليس الأب –الملك المحبوب فحسب، بل هو أيضاً الندّ الذكوري المعبود، الذي يُعجب به رجال أقوياء آخرون.

عبر التقاليد الملحمية في حوض المتوسط والشرق الأدنى القديم، نجد باستمرار ثنائية أدبية تجمع رجلين —إما في صيغة «مرشد–متدرّب» (كما في نموذج قطر والسعودية تجاه الشعر)، أو صيغة «رفيقي حرب» (كما في الشرع والشيباني)— ويتميّز هذا الرباط بتوصيف جسدي مفصّل، وتجارب مشتركة، وولاء حتى الموت. في حالة جلجامش وإنكيدو (ملحمة جلجامش)، تُطيل السردية في وصف قامتهما وجمالهما وقوتهما. يُقال عن جلجامش إنه «طويل وكامل القوة»، ويوصف إنكيدو بصفات جسدية مثالية مشابهة. مبارزتهما الأولى —التي تنتهي بالاحترام المتبادل— تحوّل الصراع الجسدي إلى طقس لربط الصداقة. وتظهر الجسدية كبرهان على الجدارة أيضاً في حالة أخيل وبتروكلوس (الإلياذة)، حيث تقترن البراعة القتالية بالحميمية المتبادلة، في مشاهد حميمية لتجهيز السلاح أو مداواة الجروح.

كما أن الولاء والصداقة يُصوَّران غالباً كخبرة عاطفية مكثفة. ففي حالة داود ويوناثان (العهد القديم، صموئيل الأول)، «أحبّه كنفسه»، ويقدم له درعه وسلاحه —رموز الثقة القتالية والولاء الشخصي. وتبرز المصادر اليونانية اللاحقة الإلتصاق الشديد بين الإسكندر الأكبر وهيفايستيون، من خلال مظاهر علنية للعاطفة والاعتماد الاستراتيجي المتبادل، في صورة علاقة شراكة عسكرية وركيزة وجدانية في آن.

وتتجلى هذه العاطفة أيضاً في ديناميكيات «المرشد–المتدرّب». فالقنطور خيرون في الأسطورة اليونانية لم يدرّب أخيل على فنون الحرب فحسب، بل نقل له أيضاً مدوّنة أخلاقية، رابطاً بين النمو الجسدي والتوجيه في القيادة والشرف. وتشير سجلات البلاط الحثي إلى «رفاق ملكيين–محاربين» يرافقون الملوك في الحملات، ويؤكدون ولاءهم طقسياً عبر الولائم المشتركة، والأيمان، وهدايا السلاح. أما البلاط الأموي فقد ضمّ «رفاقاً (صحبة)» مسجّلين في السجلات ويتقاضون رواتب. بل إن كامل التقليد الإسلامي المبكر يقوم على العلاقة الخاصة بين النبي محمد وأصحابه.

هذه الثنائيات تضفي المثالية على القيادة من خلال «الذكورة العلائقية»: فالبطل لا يكون معزولاً، بل يُعرّف من خلال رباط يُظهر قدرته على إلهام الولاء في ندّ أو مرشد. وغالباً ما ينطوي هذا الرباط على: بُعد علني يُشاهده المجتمع كنموذج للولاء والوحدة؛ بُعد عاطفي حيث تصف الروايات الحزن عند الفراق أو الموت، مضخِّمةً الجانب الإنساني للبطل؛ وبُعد إضفائي حيث يؤكد ولاء رفيق المحارب على أهلية القائد أمام الجماعة أو الدولة.

في 22 كانون الأول/ديسمبر 2024، توقّف أحمد الشرع ووزير الخارجية التركي هاكان فيدان لشرب الشاي على قمة جبل قاسيون بعد مؤتمرهما الصحفي المشترك في دمشق.[15] «لحظة الشاي» هذه على جبل قاسيون تجسّد صحبة رمزية تعكس ديناميكيات «الرفيق–البطل» القديمة. المشهد—منظر بانورامي، شاي غير رسمي، بلا مراسم رسمية— يمثل ممارسة للحوكمة العاطفية: اعتراف متبادل بالسلطة الذكورية يتجاوز التسلسل المؤسسي، ويقدّم صورة قوية للوحدة والمصير المشترك. يتجاوز هذا الموقف حدود الدبلوماسية البحتة: فالمكان—إطلالة

[15] Can Efesoy, "Turkish foreign minister, Syria's new leader take in Damascus views from Mount Qasioun," *Anadolu Ajansı*, 22 December, 2024.
https://www.aa.com.tr/en/middle-east/turkish-foreign-minister-syrias-new-leader-take-in-damascus-views-from-mount-qasioun/3431774

جبلية، شاي مشترك، وانسحاب عن الرسمية—يستدعي أنماطاً عريقة من الصحبة والوفاء. ففي التقاليد الكلاسيكية والشرق أوسطية القديمة، تستحضر مثل هذه المشاهد صورة «البطل–المرشد» أو «المحارب–الرفيق»، حيث يرتبط الرجال عبر طقوس مشتركة—التسلح للحرب، الصيد، الولائم، أو المشاورات الهادئة على القمم—طقوساً تؤدّي دوراً مزدوجاً: التعبير عن الصداقة والتعهّد بالثقة والشرف. تصوير الكاميرا يعزّز هذه الدلالات، مقدّماً فيدان والشرع ليس كمسؤولين فحسب، بل كشريكين متكافئين في الاحترام، تُنقل علاقتهما من خلال الإيماءة لا المرسوم. إن الحميمية العفوية للشاي والنظر المشترك نحو دمشق تحمل إيحاءات «بُرومانْسية»، وتستدعي السرديات «الهومو–اجتماعية» للمحاربين المرتبطين بالصراع والقيادة. حتى اختيار جبل قاسيون—رمز الدفاع التاريخي—يضفي طبقة من المعنى: فالصعود المشترك له يمثل طقس سلطة مشتركة، يدمج الحوكمة في لوحة أسطورية أكثر من كونه صورة دبلوماسية.

وفي منشور على إنستغرام التقط الكاميرا اللحظة التي قدّم فيها الرئيس أحمد الشرع لأمير قطر عباءة فاخرة مصنوعة في سوريا، رمزاً للاحترام المتبادل وتعميق الروابط الثنائية.[16] كانت الحركات الجسدية عفوية، والابتسامات عريضة، والضحكات مرتفعة. ولاحقاً، في 15 نيسان/أبريل 2025، قام الشرع بأول زيارة رسمية إلى قطر، حيث استُقبل في مطار حمد الدولي من قبل الأمير وكبار المسؤولين القطريين، ثم استُضيف في الديوان الأميري لمحادثات رسمية وغداء—وهو عرض مُصمَّم للوحدة الودية.[17] يمكننا تفسير هذه اللقاءات كعروض رمزية عميقة لـ«التلاحم الذكوري» و«فن الدولة العاطفي»، حيث تُكدِّس كل إيماءة طبقة سياسية فوق صورة الأخوّة الرجولية. إن إهداء العباءة للأمير يتبع تقليداً طويلاً يُشير فيه منح الثياب إلى التكريم والتحالف—في صدى لتبادلات المحاربين والأباطرة في الطقوس الملكية للشرق الأدنى القديم. الزيارات المتبادلة، باستقبالات العواصم وولائمها الرسمية، تنسّق رقصة اعتراف متبادل وتضامن، بصرياً أشبه بلوحات «الأخ–الملك» التي تُشرعن السلطة عبر اعتراف الأنداد. حتى استخدام اللغة الأخوية مثل الإشارة إلى «عمق الروابط الأخوية» يُؤطّر العلاقات في إطار عائلي، معزّزاً سردية التحالف الذكوري والمصير المشترك.

ونشاهد حديثاً على مواقع التواصل الإجتماعي صورة حميمية أخرى للشرع مع صديقه ووزيره الشيباني يشربان الساي في إحدى مقاهي بلودان. إن صورة بلودان هي مثال على الطقوس غير الرسمية للتماسك بين القادة الذكور. وهي أداة قوية —تمزج بين الرفقة والرجولة والحميمية— في السياسة العاطفية التي نحلّلها. هذا المثال يدل على «طقس مصغّر» للقيادة الرفاقية، مؤطّراً في موقع هادئ بدلاً من بروتوكول رسمي.[18]

التعلّق فوق الإجتماعي – نموذج الأب

شهدت وسائل التواصل الاجتماعي في سوريا ازدياداً ملحوظاً في المنشورات المكتوبة بصيغة مناشدة مباشرة لأحمد الشرع، تبدأ جميعها بـ«سيادة الرئيس أو سيدي الرئيس». بعض هذه المنشورات مليء بالتضرع إلى الله أن « [يديم] الله علينا ظلّكم وعزّكم ومجدكم ولا حرمنا من طلّتكم وهيبة حضوركم »، والتعبير عن التأييد لزيارته المرتقبة إلى باريس بصيغة مديح تعبدي: « نحن شعبكَ وأهلكَ وسندكَ وظهركَ

[16] Gassan Awwad Instagram page, January 31, 2025. https://www.instagram.com/reel/DFgnwzFoPxc/
"Al-Sharaa meets Emir of Qatar in Damascus," Enab Baladi, January 30, 2025.
https://english.enabbaladi.net/archives/2025/01/al-sharaa-meets-emir-of-qatar-in-damascus/
[17] Staff Writer, "Syria's Sharaa in Qatar to Deepen Bilateral Relations," *Asharq al-Awsat*, April 16, 2025.
https://english.aawsat.com/gulf/5132936-syrias-sharaa-qatar-deepen-bilateral-relations
[18] Staff Writer, "Syrian President Ahmad al-Sharaa and Foreign Minister Asaad al-Shaibani spent the evening in Bloudan, in the Damascus countryside," *Levant24*, on X, August 2, 2025.
https://x.com/Levant_24_/status/1951753400049111068

وجندك وسيفك وغضبك وجبروتك وقوتك وبأسك. نحبّك ونحبُّ من يحبك، ونكرهُ ونُبغض ونبطشُ بمن يكرهك. دُمتَ لنا أميراً ورئيساً وسنداً وشيخاً وزعيماً ومُعلماً وملهماً وقائداً ومدداً وفاتحاً للشام بإذن الله إلى يوم القيامة».[19] وهناك من يوجّه الشكاوى عن سلوك جنوده أو مسؤوليه. فيما يكتب الأكثر ثقافة انتقادات خافتة اللهجة، بصيغة مناشدة أو عتاب لطيف يقرّ ضمنياً بالسلطة.

يُفهم القائد هنا ويُفسَّر من خلال «مخطط الأب» (father schema) المتجذّر، إذ يجسّد أدوار الحامي والمعاقِب والرازق في آن واحد. إن الافتتاحية المكررة «سيادة الرئيس» ليست مجرد تحية مهذبة؛ ففي الخطاب السياسي العربي، تتجاوب مع صيغ أقدم مثل «يا سيّد»، «يا ملك»، «يا أمير» التي استُخدمت طويلاً مع والحكّام وحتى مع الله في الأدعية التعبدية. أما اللغة التي تليها فتكرّس هذا الطابع شبه المقدّس: عبارات الدعاء مثل «حفظك الله»، «أدام ظلكم»، « ولا حرمنا من طلّتكم وهيبة حضوركم » تستمد صياغتها مباشرة من تقاليد الدعاء القرآني والإسلامي الكلاسيكي الموجّهة إلى الله أو الأولياء أو الأنبياء. وتُحيل استعارات القرابة—«نحن شعبك وأهلك وسندك وظهرك وجندك وسيفك»— المواطنين من كونهم أنداداً سياسيين إلى أعضاء في بيت الحاكم، أي البنية الأبوية القصوى. ويبلغ هذا التأطير العاطفي ذروته في تصريحات الولاء المطلق—« نحبّك ونحبُّ من يحبك، ونكرهُ ونُبغض ونبطشُ بمن يكرهك »—التي تعكس حصرية الولاء التعبدي في التوحيد، حيث يقترن الإخلاص للإله بالعداوة لأعدائه. حتى الشكوى تُصاغ ضمن هذه القواعد الأبوية–اللاهوتية: نقد لطيف بصوت متضرع، يحاكي لهجة الابن أمام أب مهيب أو المتوسل أمام ملك–إله.

إن انتشار منشورات «سيدي الرئيس» على المنصات السورية يمثل شكلاً معاصراً من عرائض الولاء الملكي، شبيهاً من حيث البنية بالممارسة الراسخة في الشرق الأدنى القديم التي يخاطَب فيها الملك بصفته أباً وإلهاً. في الأدعية المعاصرة نقرأ: «أدام ظلكم»، « ولا حرمنا من طلّتكم وهيبة حضوركم »، وهي صيغ توازي نصوص الأناشيد السومرية والأكادية التي تصف الحاكم بأنه «أبو المدينة» و«راعي الشعب» والمشعّ بـ *melammu* (الهالة الإلهية). في التراث السومري مثلاً، يُمدح شولگي بوصفه «الأب الذي أنجب مدينته، والراعي الذي يحرس شعبه... الذي أكمل الآلهة بهاءه، وتغطي هالته الأرض» (نشيد شولگي ب، نحو 2100 ق.م).[20] وصيغ البركة الملكية في عصر أور الثالثة تقول: «ليدم ملكك إلى الأبد كالسماء، وليكن عدد أيامك كعدد النجوم».[21] أما في النقوش الأكادية والبابلية القديمة، فيعلن حمورابي نفسه

---

[19] **موقع أحمد العقدة**، 20 ديسمبر، 2024، https://www.facebook.com/ahmadokde
من أحمد العقدة إلى أحمد الشرع (الرسالة التاسعة)
الموضوع: كلنا أحمد الشرع
سيدي الرئيس، ... أدام الله علينا ظلّكم وعزّكم ومجدكم ولا حرمنا من طلّتكم وهيبة حضوركم ... هذا العام، لم يحتفل السوريون في السادس من أيار، بل احتفلنا في السابع منه، يومَ طَلَعَ قمر بني أمية في باريس، كان عرساً وطنياً عفوياً جديداً، وليلةً أُخرى للذكرى والتاريخ، سيدي الرئيس.
سبحان من وهبكَ القبول في القلوب والأفئدة والعقول، سبحانَ من أوجدكَ فاتحاً جديداً للشام بعد صوم دهرٍ، سبحانَ الله الحليم الحكيم القويّ الأمين، سبحان الخلّاق العليم ... بعد الضربة الاسرائيلية القريبة من القصر، تجمع السوريون بشكل عفوي في الساحات ... صار #كلنا_أحمد_الشرع خبزنا اليومي وبقي رائجاً لمدة أسبوع يتكرر في قوائم الأكثر تفاعلا كل يوم... أولستَ القائل: ما يهمني هو أن يصدقني شعبي فقط؟ ونحنُ نُصدّقكَ ونَصدُقكَ القول إن شاء الله، وننصرك، نحن شعبكَ وأهلكَ وسندكَ وظهركَ وجندك وسيفك وغضبك وجبروتك وقوتك وبأسك.
نحبّك ونحبُّ من يحبك، ونكرهُ ونُبغض ونبطشُ بمن يكرهك.
دُمتَ لنا أميراً ورئيساً وسنداً وشيخاً وزعيماً ومُعلماً وملهماً وقائداً ومدداً وفاتحاً للشام بإذن الله إلى يوم القيامة.
https://www.facebook.com/plugins/post.php?href=https%3A%2F%2Fwww.facebook.com%2Fahmadokde%2Fposts%2Fpfbid035xqD2upaBpuEpNBnWDrDZyKSXBJVoV6iJ5wysuMihA1Fm8z2czGgt9dCZvihcPpLl

[20] William W. Hallo and K. Lawson Younger Jr., eds. *The Context of Scripture, Vol. 1: Canonical Compositions from the Biblical World*, Leiden: Brill, 2003, pp. 583–584 (Shulgi B, lines 1–15: "You are the father who begot your city…" and divine radiance lines).

[21] Jean Bottéro, Samuel Noah Kramer, and Thorkild Jacobsen, *The Sumerians: Their History, Culture, and Character*, Chicago: University of Chicago Press, 1992, p. 244 (royal blessing: "May your kingship endure forever, like the heavens…").

«راعي الشعب، وأب الأرض، الذي يجلب لهم الخصب والمأوى» (مقدمة قوانين حمورابي، القرن 18 ق.م)،[22] وتظهر في أرشيف ماري صيغ ولاء صريحة: «أصدقاء الملك أصدقائي، وأعداؤه أعدائي، أقف مع سيدي كما أقف مع إلهي».[23] هنا يظهر ṣalmu الملك —وهو هالة أو إشعاع ممنوح إلهيًا، وهو قريب في أصله اللغوي من الكلمة العربية اللاحقة **صَنَم** ("تمثال" أو "وثن")— تشابهًا لافتًا مع لغة "الطلة البهية" التي نجدها في التعبيرات المعاصرة عن الولاء السياسي في سورية. وفي الحقبة الآشورية الجديدة، سمّى أسرحدون نفسه «أباً لشعبي، ظله كظل شجرة عظيمة»، وكانت النقوش الدعائية للملك تشبه الصلوات المرفوعة للإله آشور.[24] وفي مصر، جرى تأطير الفرعون كـ«أب وأم الأرض»، معطي الحياة للشعب كما يعطي الإله للخلق الحياة، وخاطبه التابعون في رسائلهم بصيغ كونية: «يا سيدي وإلهي وشمسي».[25] ويرث التقليد التوراتي هذا الدمج بين الأدوار السياسية والإلهية: في إشعيا 9:6 يُمنح الملك الداوودي ألقاباً مثل «أب أبدي، رئيس السلام»، وتوجّه مزامير معينة الخطاب للملك بلغة مخصصة لله، باعتباره ممثله الأرضي.

هذا التداخل بين «الظل»، و«الهالة»، و«الأب»، و«الراعي»، وولاء «الحب/الكره» ليس مصادفة، بل هو جزء من لاهوت سياسي أبوي ممتد آلاف السنين. كما يوضح «مشروع المِلمّو»[26] الذي يرصد استمرارية وتحول وانتشار الثقافةالسياسية الرافدية والشرق أوسطية القديمة حتى العصور الإسلامية، فإن هذه الأنماط تُظهر استمرارية وظيفية لافتة: في السياقات القديمة والمعاصرة، تمزج العرائض بين الولاء السياسي والبركة الإلهية والرعاية الأبوية، وتقيّد المعارضة في إطار الشكوى الطقسية المؤدبة. نفسياً–اجتماعياً، تُصاغ هوية التابع أو المواطن على أنها هوية طفلية تابعة، تستند إلى قدرة الحاكم على توفير الحماية المادية والأمان الكوني معاً.

في الخطاب السياسي العربي، هناك إرث طويل لتأطير الحكم بصيغة أبوية، في السجلات الرسمية والعامية. فمصطلح «الراعي» وجمعه «الرعايا» كان راسخاً في النظرية السياسية الإسلامية ما قبل الحديثة لتوصيف الحاكم كمُعيل وحامٍ لشعبه، وهو استعارة ذات رنين قرآني (انظر: الأنعام 165، النحل 71)[27] وجذور ضاربة في ملكية الشرق الأدنى.[28] وقد جاء في الحديث الشريف: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»، وهو نصّ رسّخ فهم السلطة السياسية كوكالة مؤتمنة أمام الله لرعاية شؤون الناس.[29] الخلفاء العباسيون تبنوا استعارة الراعي في خطابهم الرسمي؛ فقد نُقل عن الخليفة المهدي قوله: «الإمام راعٍ نصبه الله على رعيته ليرعاهم».[30] وفي أدبيات «مرايا الأمراء» مثل «الأحكام

---

[22] Martha T. Roth, ed. *Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor*, 2nd ed. Atlanta: Scholars Press, 1997, pp. 76–77 (Prologue, lines 1–49: "I am Hammurabi… shepherd of the people, father of the land…").

[23] Bertrand Lafont, "The Army of the King of Mari." In *A History of Warfare in the Ancient Near East*, edited by J. N. Postgate. Leiden: Brill, 2001, pp. 210–211 (letter ARM 26/1: loyalty formula: "Your friends are my friends, your enemies my enemies…").

[24] Daniel David Luckenbill, *Ancient Records of Assyria and Babylonia*, vol. 2. Chicago: University of Chicago Press, 1927, p. 200 (§519: "Father to my people, whose shelter is like the shade of a great tree").

[25] William L. Moran, *The Amarna Letters*. Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1992, pp. 112–113 (EA 288: "If it pleases the king, my lord, may he hear his servant's words…").

[26] http://www.melammu-project.eu/; https://en.wikipedia.org/wiki/Melammu_Project

[27] «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ» الأنعام 165؛ «وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ۚ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ» النحل 71.

[28] Majid Khadduri, *Political Trends in the Arab World: The Role of Ideas and Ideals in Politics*. Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1955.Ann K. Lambton, "Quis Custodiet Custodes: Some Reflections on the Persian Theory of Government," *Studia Islamica* 64, 1981: 135–155.

[29] Patricia Crone, and Martin Hinds, *God's Caliph: Religious Authority in the First Centuries of Islam*, Cambridge: Cambridge University Press, 1986.

[30] Muḥammad ibn Jarīr Ṭabarī, *Ta'rīkh al-rusul wa-l-mulūk*, Edited by M. J. de Goeje et al. Beirut: Dār al-Turāth, 1985–2007.

السلطانية» للماوردي، صارت صيغة الراعي/الرعية أساس العلاقة بين الحاكم والمحكوم، تؤكد الحماية والتأديب والرزق.[31] وفي المكاتبات المملوكية، كان يُلقّب السلطان بـ«راعي رعايا الإسلام»،[32] واستمر هذا في المراسلات العثمانية بصيغ مثل «حامي الرعية» و«راعي المملكة».[33]

يظهر التعبير العامي «بابا دولة» في اللهجة المشرقية المتأخرة للعهد العثماني بوصفه مصطلحاً يحمل في آن واحد نبرة الاحترام ونبرة السخرية عند الإشارة إلى جهاز الدولة. وفي التاريخ الشفوي السوري، يتذكر أبناء الأجيال الأكبر سناً أنهم كانوا يصفون الوالي العثماني أو لاحقاً سلطة الانتداب الفرنسي بـ«بابا دولة»—أي شخصية أبوية يمكنها الحماية أو المعاقبة أو العطاء.[34] ويمزج هذا المصطلح بين الألفة العائلية في لفظ «بابا» والقوة المؤسسية في كلمة «دولة»، بما يعيد إنتاج البنية الرمزية راعي/رعايا ولكن بصيغة عامية.[35]

لا تقتصر هذه التعابير على الإشارة إلى مسؤولية الحاكم عن الرفاه المادي والنظام الأخلاقي، بل تُطَبِّع أيضاً موقع المواطن بوصفه طفلاً تابعاً داخل بنية «البيت–الدولة»؛ وهي دينامية تمتدّ مباشرة إلى اللغة التبجيلية–الولائية التي تظهر في العرائض والالتماسات المنشورة على وسائل التواصل الاجتماعي السورية المعاصرة والموجَّهة إلى الشراع.

على المستوى النفسي–الاجتماعي، تنشأ مثل هذه الولاءات في سياقات انعدام الأمن المزمن. وكما يلاحظ فرويد وفروم ولاكان، فإن المواطنين تحت التهديد المستمر غالباً ما ينكفئون إلى موقع الطفل أمام الأب القوي القادر على «حملنا بين ذراعيه» (التحويل الارتجاعي regressive transfer). في هذا الإطار الخطابي والعاطفي، يصبح القائد بمثابة الإله–الأب للجماعة السياسية: مصدر الحياة والحماية والانتقام، وصاحب سلطة سياسية ومقدسة في آن واحد. يوضح فرويد ما تنطوي عليه هذه العلاقة من ازدواجية وجدانية، حيث يتشابك الحب والخوف في مزيج من الإخلاص والحذر النقدي. أما فروم فيكشف البنية الدافعية التي تجعل من عدم الاستقرار المستمر محفزاً لتنامي الحاجة إلى السلطة الأبوية. ويضيف لاكان البعد البنيوي، مبيناً كيف تعمل هذه الشخصية الأبوية كمرساة رمزية للواقع الاجتماعي، بحيث تصبح أفعال التوسل والمديح ليست مجرد مجاملات شخصية، بل إعادة تأكيد على الانتماء إلى النظام السياسي ذاته.

في كتابه «**الطوطم والحرام**» (1913) ، يطوّر فرويد أسطورة «القطيع البدائي» التي يتسيّد فيها الأب المهيمن، محتكرًا النساء وممارسًا سلطة مطلقة على الأبناء الذين يجمعون بين الخوف من عقابه والإعجاب بقدرته.[36] وفي حلّ أو نهاية هذه الأسطورة، يقتل الأبناء أباهم، ثم يُدخلون سلطته في ذواتهم عبر الطوطم، ملتزمين بالمحرّمات التي كان يجسّدها. سياسيًّا، تُعيد عرائض المواطنين الموجَّهة إلى الحاكم المطلق («سيدي الرئيس») إنتاج هذه البنية من الازدواجية: «من فضلك احمنا» (حب) و«لا تؤذنا» (خوف). فحماية الأب–الرمز لا تنفصل عن قدرته على العقاب. وفي الخطاب السوري على وسائل التواصل الاجتماعي، يتوسّل الموالون إلى الشرع بعبارات مثل: «أدام ظلكم»، « ولا حرمنا من

[31] Abū al-Ḥasan al-Māwardī, *Al-Aḥkām al-sulṭāniyya wa-l-wilāyāt al-dīniyya*, Cairo: Dār al-Ḥadīth, 1996.
[32] Aḥmad ibn ʿAlī al-Qalqashandī, *Ṣubḥ al-aʿshā fī ṣināʿat al-inshāʾ*, 14 vols. Cairo: Dār al-Kutub al-Miṣriyya, 1913-20.
[33] Halil İnalcık, *The Ottoman Empire: The Classical Age, 1300–1600*, London: Weidenfeld and Nicolson, 1973.
[34] Christa Salandra, *A New Old Damascus: Authenticity and Distinction in Urban Syria*, Bloomington: Indiana University Press, 2004.
[35] Joel S. Migdal, *Strong Societies and Weak States: State–Society Relations and State Capabilities in the Third World*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1988.
[36] Sigmund Freud, *Totem and Taboo: Resemblances between the Mental Lives of Savages and Neurotics*, Translated by James Strachey. New York: W. W. Norton, 1950 [1913]. See esp. pp. 141–144 on the ambivalence toward the father and the internalization of his authority.

طلّتكم وهيبة حضوركم » ، حتى حين يبدون شكاواهم، فإنهم يصوغونها بصيغة التبجيل والخضوع —في صدى للتوتّر القديم تجاه الأب البدائي.

في كتابه «**الهروب من الحرية**» (1941) ، يرى إريك فروم أنّه في ظروف اللايقين والتفتّت الاجتماعي، كثيرًا ما يلجأ الأفراد إلى الخضوع السلطوي باعتباره ملاذًا من قلق الحرية.[37] فالحرية تجلب معها المسؤولية، وفي أزمنة عدم الاستقرار الطويلة قد يبدو العبء النفسي لاتخاذ القرار المستقلّ غير محتمل. هذه هي آلية التحويل الارتجاعي: ففي السياقات غير المستقرة، يتراجع المواطنون نفسيًّا من دور البالغ القادر على حكم نفسه إلى دور الطفل التابع الباحث عن الحماية. وفي الحالة السورية، بعد أربعة عشر عامًا من الحرب، يصبح الحنين إلى الاستقرار باعثًا على التمسّك بالشخصية الأبوية للرئيس، حتى لو كان سجله مثقلاً بالعنف. أمّا الخطاب—مثل «نحن شعبك وأهلك وسندك وظهرك وجندك وسيفك ... نحبّك ونحبُّ من يحبك، ونكرهُ ونُبغض ونبطشُ بمن يكرهك»—فيؤدّي وظيفة دفاعية، إذ يختزل التعقيد السياسي في بساطة مريحة قوامها الولاء لرجل واحد.

يعيد جاك لاكان تفسير الوظيفة الأبوية عند فرويد بوصفها وظيفة رمزية لا بيولوجية فحسب. ففي محاضراته—وخاصة في كتابه «**الذهانات**» (*The Psychoses*) يمثّل «اسم الأب» (*Nom-du-Père*) العلامة التي تُدخل الذات في النظام الرمزي :مجال القانون واللغة والبنية الاجتماعية.[38] وهنا، لا يكون الأب مجرّد الرجل الذي يحكم، بل الوظيفة التي يجسّدها: مشرّع القوانين، منظّم الواقع، ومصدر الشرعية. ومن ثمّ فإن فعل التضرّع «سيدي الرئيس... حفظك الله» إنما يُعيد تأكيد موقع الملتمس داخل هذا النظام الرمزي، باعترافه بالقائد باعتباره في آنٍ واحد تجسيدًا للقانون ووسيطًا للإرادة الإلهية. وحتى النقد الخافت يُصاغ طقسيًّا—مبنيًّا بحيث يقرّ بموقع الأب كضامن للنظام قبل أن يشرع في عرض الشكوى.

لقد أوجدت الحرب الأهلية الطويلة في سوريا الظروفَ المثاليةَ لمثل هذا الارتداد النفسي، حيث يُتصوَّر القائدُ كأبٍ «يحملنا بين ذراعيه»، ملبّيًا في آنٍ واحد الوظائفَ العاطفية للحبّ والحماية، والوظائف السلطوية للأمر والانضباط. وفي السياقات القديمة والحديثة على السواء، تؤكّد العرائض من هذا النمط حالةَ التبعية عبر تصوير المحكوم كطفل، والحاكم كأب أو إله؛ وتعزّز الولاء المطلق بجعل الحبّ للقائد غير منفصل عن العداء لأعدائه؛ وتُضفي القداسة على السلطة السياسية عبر تأطير حضور القائد وهالته كبركاتٍ إلهيةٍ يُعَدّ فقدانها حرمانًا كونيًّا؛ ولا تسمح إلا بشكوى مقيَّدة، تُعبَّر عنها ضمن لغة التوقير والطاعة، وبذلك تُحفَظُ الصورةُ الأبوية للقائد.

يمكن قراءة الأنماط الخطابية في منشورات «سيدي الرئيس» بوصفها تجسيدًا حديثًا لقواعد نحوية سياسية–رمزية ضاربة في جذور آلاف السنين من سيادة أبوية، كما أوضحها فرويد وفروم ولاكان. فبحسب فرويد، فإن مدح المواطن الحاكمَ مع إرفاقه بشكوى حذرة يعيد إنتاج الازدواجية الوجدانية تجاه الأب البدئي—الحامي والخصم في آن—وهي الازدواجية ذاتها التي نجدها في أناشيد الملوك القديمة حيث يُصوَّر الحاكم مصدرًا للمأوى ومنفِّذين للانضباط. ويُفسّر طرح فروم حول «الهروب من الحرية» لماذا تؤدّي حالة اللااستقرار المزمنة، مثل أربعة عشر عامًا من الحرب في سوريا ، إلى تعميق الرغبة في إذابة الفاعلية السياسية في هوية مندمجة تمامًا مع شخصية فرد واحد كليّ القدرة، على

[37] Erich Fromm, *Escape from Freedom*. New York: Holt, Rinehart and Winston, 1969 [1941]. See pp. 133–165 on the authoritarian personality and the surrender of autonomy under anxiety.
[38] Jacques Lacan, *The Seminar of Jacques Lacan, Book III: The Psychoses*, Edited by Jacques-Alain Miller, translated by Russell Grigg. New York: W. W. Norton, 1993 [1955-56]. See pp. 230–245 for discussion of the "Name-of-the-Father" as the structuring principle of symbolic authority.

نحو شبيه بتعهد رعايا بابل القديمة بالولاء لحمورابي بوصفه «أبا البلاد» وعدوًّا لأعدائهم. أمّا لاكان، فيكشف مفهومه عن «اسم الأب» (*Nom-du-Père*) كيف أنّ هذا الإخلاص ليس عاطفيًا فقط، بل هو أيضًا بنيوي–رمزي: فحين يعترف الملتمسون علنًا بالقائد كأمير ورئيس وشيخ وقائد ومعلّم، فإنهم يؤكدون موقعهم ضمن النظام الاجتماعي الذي يجسّده، في صورة تُحاكي الإعلانات الآشورية بأن «أوامر الملك تطيعها الأرض». إنّ المزج بين الألقاب الإلهية والاستعارات القرابية وطقوس قسم الولاء، في كل من وسائل التواصل الاجتماعي السورية والعرائض الموجَّهة إلى الحكام في بلاد ما بين النهرين القديمة، يكشف عن لاهوت سياسي متصل تُقدَّس فيه سلطة الحاكم، وتُصبح هالته نورًا وشريعةً معًا، وتغدو المناشدة وسيلةً طقسيّة للمواطن لضمان الحماية والرضا والانتماء إلى النظام الأبوي.

بالمصطلحات التحليلية–النفسيّة، تكمن قوة الصورة الأبويّة ليس فقط في حضوره الجسدي، بل أيضًا في الحيّز النفسي الذي يشغله. وفي الحالة السورية، يتضاعف أثر هذا النقل الأبوي بفعل ديناميات تداول الإعلام المعاصر. فظهور القائد نادر ومتعالٍ (ومتحدث بالفصحى فقط)، غير أنّ الندرة في الفضاء الرقمي والإعلامي تزيد الرغبة شدةً؛ إذ تصبح كل صورة أو مقطع خطاب أو إيماءة عابرة مشحونةً بمعانٍ تفوق حجمها. وكما تلاحظ زيزي باباتشاريسي (2015) في دراستها عن «الجماهير الوجدانية»، فإن المنصات الرقمية تصوغ جماعات تتماسك عبر شعور مشترك لا عبر أيديولوجيا موحّدة؛[39] فالرابطة هي تدفّق العاطفة لا وجود برنامج سياسي متماسك. وفي هذا السياق، تُعاد نشر حتى «العبارات المحايدة» التي يتفوه بها القائد، وتُحوَّل إلى ميمات وتُعاد مزجها حتى تغدو مانترا مُقدَّسة— علامات لغوية مكثفة لسلطة أبوية وثبات شبه إلهي. إن عملية «المَيمية» (meme-ification) هنا تؤدّي وظيفة طقس تكراري حديث، شبيه بالأسطر المديحية الصيغية في أناشيد بلاد ما بين النهرين القديمة، والتي اعتمدت على التكرار الإيقاعي لترسيخ صورة الحاكم وفضائله في الوعي الجمعي. وهكذا يظهر «الأب فوق–الاجتماعي» (parasocial) لا بوصفه رجلًا فحسب، بل كحضور مُنتقى بعناية: حامٍ حاضر في كل مكان رغم بعده الجسدي، تتجدد هالته الرمزية (*melammu*) ، أو في العربية الطلة البهية والهيبة، باستمرار عبر العمل الشبكي لمناصريه. وبذلك يمدّ الفضاء الرقمي الأب التحليلي–النفسي إلى صورة موزّعة، متاحة على الدوام—محفوظة في الجيب، مُعادة النشر في الخلاصات، ومُعاد نقشها في لغة الولاء الطقسية، تمامًا كما كانت النقوش المعبدّية تعيد نقش دور الملك كراعٍ ومحارب وممثّل للإله.

الملكية المقدّسة وحزمة البطل–المخلّص

تُؤطّر التيارات الشعبوية السنية السورية صعود أحمد الشرع بوصفه إيذاناً بـ«عصر ذهبي» جديد، بل وبـ«إحياء أموي» معاصر. ففي أحد النصوص، نقرأ: «واعداً بعصر ذهبي جديد، يجد التيار الأموي الجديد صداه لدى طيف واسع من العرب السنّة في سوريا».[40] ويرى كثيرون أنّ الشرع «مهووس بفكرة إنشاء كيان سنّي»، في ما يوحي باصطفافٍ بنيوي أو رمزي مع سياسة الدولة الأموية وأيديولوجيتها.[41] هذا التوظيف —التشبيه بالعصر الأموي واستدعاء لغة المخلّص— يعني استدعاء المجد التاريخي لتقديس سلطة الشرع. فمزج الخلاص بالملوكية الإلهية هو ثيمة قديمة في الشرق الأدنى، إذ كثيراً ما تُمجّد الأناشيد السومرية والأكّادية الحاكم بوصفه مخلّصاً إلهياً أو شبه إلهي. على

[39] Zizi Papacharissi, *Affective Publics: Sentiment, Technology, and Politics*. New York: Oxford University Press, 2015.
[40] Malik al-Abdeh, "'Make Syria Great Again': how Sunni populism is reshaping post-war Syria," *Al-Majalla*, May 16, 2025.
https://en.majalla.com/node/325607/politics/make-syria-great-again-how-sunni-populism-reshaping-post-war-syria
[41] Staff writer, "The New Umayyads: Syria's leaders is turning nostalgia into strategy," *Syria in Transition*, April 23, 2025.
https://www.syriaintransition.com/thenewumayyads

سبيل المثال، يُمدح شولگي ملك أور بأنه «الأب الذي أنجب المدينة» و«الراعي الذي يحرس شعبه»—حامٍ مُفوَّض بمسؤولية كونية ورضا إلهي. أما الملوك الآشوريون، فيَستدعون دورهم الإلهي: «أوامري تطيعها الأرض»، فهم المنتقمون والحماة الذين يضمنون النظام الكوني والاجتماعي.

وفي السياقات الإسلامية–الرافدية، يجمع نموذج المهدوي أحياناً بين التقوى الزاهدة والقوة الكونية التحويلية. وعلى الرغم من أن الشرع لا يُسمّي صراحة «مهدياً»، فإن «حزمة البطل–المخلّص» —إعادة إعمار سوريا الممزقة بالحرب، والوعد بالوحدة والحماية— تعكس بنية التوقعات المهدوية. حالياً، يُشبَّه بمُعاوية، لكن المقارنة بـ«السفياني» قد تستغرق وقتاً. أبو الحسن علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، المعروف بـ«أبي العُمَيْطِر السفياني»، كان أميراً أموياً متمرّداً على الحكم العباسي في الشام خلال الفتنة الرابعة (فتنة الأمين والمأمون)، ادّعى المهدوية وحاول عام 811 م إعادة الخلافة الأموية التي أسقطها العباسيون سنة 750 م.[42] وربما بناءً على شخصيته التاريخية،[43] شيّد التراث الشيعي شخصيةً أخروية تعرف بـ«السفياني»، وهو حاكم جائر يخرج في الشام قبل ظهور المهدي، وتصفه الأحاديث السنية والشيعية بأنه طاغية ينشر الفساد في الشام، ويلقى حتفاً دراماتياً (كالابتلاع في الأرض بالبيداء).[44] وربما جعل الاستثمار الإيراني الكبير في المهدوية، واستخدامه لشخصية السفياني خلال تدخله في الحرب السورية، من الصعب تنظيف صورة السفياني الأول وإحيائها بوصفه مخلّصاً يمكن تشبيه الشرع به. ورغم عدم وجود تشبيهات مباشرة في الأدبيات الإعلامية السنّية أو الشيعية الحديثة تربط الشرع بالسفياني، فإن تصويره كمخلّص لسوريا يعكس نموذجاً أوسع وأقدم: القائد بوصفه حامياً ومجدّداً بتفويض إلهي.

في الخطاب الصحفي المعاصر، نجد عناوين تضع الشرع صراحة ضمن «حزمة البطل–المخلّص». فإحدى الافتتاحيات جاءت بعنوان «المخلّص الكلاسيكي لسوريا»، تصفه كشخصية فدائية في زمن الأزمة.[45] وفي التراث الإسلامي المتأخر، تُمنح الشخصيات الروحية الكبرى (الأولياء، الأئمة) كرامات، في مزج للكاريزما الدينية بالسلطة الجسدية. أما في العالم القديم، فكان الملك يقوم بالطقوس المعبدية، أو يشرف على بناء مقدس، أو يصدر قرارات إلهية—أفعال تُقدَّم سردياً كمعجزية أو تضحية، جاعلة من السياسة امتداداً للمقدّس. وتصف نصوص الشرق الأدنى القديم طقوس التتويج والإنشاد الملكي، حيث يتسلم الملك المُلك الإلهي (عبر أدوات مثل الصولجان، الخاتم، التاج ذي القرون)، ويجدّد الرعايا ولاءهم كما لو كانوا يجدّدون انتماءهم للنظام الكوني. إن هذا التقاطع السلس بين أنماط البطل–الإله في الملكية الرافدية، ومفكرة الكاريزما الزاهدة (الأمير الصوفي)، والولاء السياسي المقدّس قد شكّل أساس الثقافات الملكية في الشرق الأدنى والإسلام.

وهذا يتطابق أيضاً مع مؤسسة البيعة في الإسلام، التي تُقدّس الخضوع السياسي. فالبيعة —سواء للإمام أو للخليفة— رابطة ولاء موثقة دينياً، تجعل الولاء للحاكم بمثابة استجابة لأمر إلهي. وقد أخذ الشرع على نفسه (حين كان قائداً لجبهة النصرة) البيعة لأيمن الظواهري، زعيم تنظيم القاعدة.[46] ولا نشك في أنه أخذ لنفسه البيعة من جنوده في جبهة النصرة وهيئة تحرير الشام (وخاصة المجاهدين الأجانب). ومن معابد أور إلى دواوين العصور الوسطى الأوروبية، صُوّرت البيعة كواجب مقدس، لا كمجرّد صفقة سياسية. ففي البيعة الإسلامية، كما في قسم

---

[42] https://en.wikipedia.org/wiki/Abu_al-Umaytir_al-Sufyani

[43] هناك احتمال آخر أن تكون شخصية السفياني المهدوية مبنية على شخصية أبي محمد زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية السفياني الذي ثار على مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين عام 744 ثم جابه الجيوش العباسية وقتله الخليفة العباسي المنصور لاحقاً.
https://ar.wikipedia.org/wiki/زياد_السفياني

[44] https://en.wikipedia.org/wiki/Sufyani

[45] Manzar Zaidi, "The Classical Saviour of Syria," *The Geopolitics*, December 15, 2025.
https://thegeopolitics.com/the-classical-saviour-of-syria/

[46] https://en.wikipedia.org/wiki/Ahmed_al-Sharaa

الولاء الإقطاعي الأوروبي، كان الولاء يُؤدى علناً، غالباً أمام نصوص مقدسة أو ذخائر مقدسة، وبصيغة تعبّد تربط المبايع بالحاكم وبالله معاً. كان الفارس القروسطي الأوروبي يركع أمام سيده الإقطاعي، واضعاً يديه بين يدي سيده، حالفاً على الأناجيل «كما لو كان لله نفسه»، ما يحوّل الولاء إلى فعل تعبدي.[47] واللاهوت السياسي الذي يدعم هذه الطقوس يضع الحاكم باعتباره «مسيح الرب» (*Christus Domini*) في اللاتينية أو «خليفة الله» في العربية، بحيث تصبح الطاعة طاعة للنظام الإلهي نفسه. وأناشيد التتويج في الشرق الأدنى القديم—مثل تلك الموجهة لشولگي أو لأسرحدون—تعمل وفق المنطق ذاته، إذ تصف الملك بأنه «أب لشعبه» و«راعي قطيعه» بتفويض إلهي.

أما الدعوات المعاصرة في سوريا بصيغة «سيدي الرئيس»—المصحوبة بعهود الولاء الأبدي، والحب لأصدقائه، والكره لأعدائه—فتعمل ضمن هذه القواعد النحوية الرمزية العابرة للتاريخ في الطاعة المقدسة، حيث تُقدَّس سلطة القائد، ويصبح الولاء أداءً علنياً للتقوى. ورغم عدم وجود تقليد موثّق لبيعة علنية للشرع، فمن المرجح أن هذه الممارسة تُستعاض عنها خطابياً في الفضاء الرقمي —إذ تؤدي المنشورات ذات الصياغة التعبدية، الشبيهة بالقَسَم، وظيفة طقوسية غير رسمية تحاكي البيعة.

إن تشبيه الشرع بالأمويين وتصويره كمخلّص «كلاسيكي» لسوريا يوظف الميثولوجيا التاريخية لتكريس الشرعية، في محاكاة لاهوت سياسي قديم في الشرق الأدنى، حيث يُصوَّر الملوك كمخلّصين إلهيين للمدن، مجسّدين للهالة الإلهية (*melammu*) وحاملي النظام. وفي كلٍّ من البيعة الإسلامية وأناشيد التتويج لملوك مثل شولگي أو ملوك آشور، تتقدس السيادة عبر الطاعة المؤطرة بالمقدّس —ديناميكية تجد صداها اليوم في تقديم الشرع كمخلّص ووارث إلهي لعصر ذهبي أسطوري.

العنف كقربان للحماية

عندما يُرى القادة كمخلّصين، وكآباء حامِين، وكحكام ذوي شرعية إلهية، تُعاد صياغة أعمالهم العنيفة لتُفهَم بوصفها غضباً مبرّراً، وانتقاماً عادلاً، وإعادة للنظام. ففي السياقات القديمة والمعاصرة على السواء، يصبح «التجاوز الأدائي» —أي الفعل العنيف الذي يُعاد تأطيره كبرهان على الأصالة والحراسة—أداة سياسية تحوّل الفظائع إلى حماية رمزية .على سبيل المثال، قُدِّم زحف أحمد الشرع نحو اللاذقية بوصفه ردّاً على «هجوم لا يُغتفر» على سيادة الدولة السورية، وصِيغ في خطاباته كعملية «تنظيف» لا كمجزرة، رغم مقتل ما لا يقل عن 1,500 مدني علوي، كثير منهم على يد فصائل حليفة له. في روايته، كان ذلك قتالاً ضد بقايا النظام، وإنقاذاً للوحدة عبر «عنف التطهير» (crucible violence).[48] يمكن مقارنة هذا برابطة جلجامش وإنكيدو، حيث يتحوّل الصراع الجسدي بينهما إلى صداقة، ثم إلى ممارسة مشتركة لـ«العنف الأخلاقي». تصبح هذه الرفقة المشوبة بظلال هومو–إيروسية قوة إضفائية: فالقوة المتشاركة بين الندّين تبرّر معاركهُما باعتبارها ضرورية، بل عادلة.

في اللهجة المحلية، يُعاد تأطير الغارات العقابية أو العنف الطائفي بوصفها «حماية الدار»—أي عنف موجّه داخل المجموعة لكنه يُبرَّر على أنه دفاع عن الذات. وهذا يعكس نظرية «الضحية–البديل» لرينيه جيرار، حيث يثبّت الأب–الملك الهوية الجمعية بتوجيه الغضب الجماعي نحو

[47] Orderic Vitalis, *The Ecclesiastical History*, edited by Marjorie Chibnall. Oxford: Clarendon Press, 1969.
[48] Maggie Michael, "Syrian forces massacred 1,500 Alawites. The chain of command led to Damascus," *Reuters*, June 30, 2025. https://www.reuters.com/investigations/syrian-forces-massacred-1500-alawites-chain-command-led-damascus-2025-06-30/

«آخر» يُحمَّل مسؤولية الأزمة.[49] ففي «**العنف والمقدّس**»، يشرح جيرار كيف تحل الجماعات توتراتها الداخلية بإسقاط العنف على كبش فداء —سواء كان فرداً أو جماعة خارجية— وتعتبر القضاء عليه أو نفيه استعادةً للنظام: «يختبر المجتمع شعوراً غريباً بالارتياح حين ينقضّ على الضحية–البديل، ويُفسَّر هذا الارتياح على أنه عودة النظام... موت الضحية أو طردها يصالح الخصوم وينهي دورة الانتقام» (جيرار 1977، ص. 83). وهكذا، يصوّر الملك الآشوري سنحاريب المدينة العدوة كـ«الضحية–البديل»؛ تدميرها يُسرد كإعادة السلام إلى مملكته: «دمّرت، وخربت، وأحرقت بالنار ستاً وأربعين مدينة حصينة... وسقت 200,150 شخصاً، كباراً وصغاراً، ذكوراً وإناثاً... لأجلب السلام إلى آشور».[50]

في أوقات الأزمة، يوحّد هذا العنف الجماعة عبر إعادة تأكيد «من نحن» و«من هو العدو». يصبح العنف خطابياً «عملية إنقاذ»: «يصل المجتمع ليرى في القضاء على الضحية فعلاً مشروعاً وضرورياً ... في اللغة الأسطورية، لم يعد القاتل مجرماً بل مخلّصاً أنقذ الجماعة من طاعون العنف» (جيرار 1977، ص. 102). أشور ناصر بال الثاني يؤطّر القتل الجماعي لا كوحشية، بل كخلاص بطولي للمملكة: «قتلت بالسيف 800 من مقاتليهم ... وشددتُهم على الأوتاد حول مدينتهم. نصبتُ عموداً من الرؤوس أمام بابهم ... جلبت السلام والخضوع للأراضي»[51].

إن الإعفاء المقدّس الممنوح للأب–الملك يشرعن أفعالاً ستكون جرائم لغيره: «الحاكم أو الكاهن أو البطل يتولى دور من يحقّ له القتل بلا ذنب؛ هو مُفوَّض بتحمّل عبء العنف كي يُصان الآخرون منه» (جيرار 1977، ص. 289). وهذا أسرحدون يعيد صياغة القتل كفعل يتم باسم الآلهة لحماية المجتمع، وبالتالي يزيل الشعور بالذنب: «لقد وضعتني الآلهة العظام في الملكية؛ عهدت إليّ شعوب الأراضي ... ومن أضربه إنما هو عدو آشور وعشتار؛ يدي هي يدهما»[52].

في كثير من الشعبويات السلطوية المعاصرة (هتلر، ترامب)، تُصوَّر الأفعال المتجاوزة —خرق الأعراف الدبلوماسية، إطلاق العنان للقوة— بوصفها دليلاً على حسم القائد ووفائه لـ«الشعب». تُستثمر القوة العنيفة كشارة أصالة، تدعم الصورة الذكورية الحامية. وفي حركات سلطوية حديثة عديدة، يصبح العنف المتجاوز مصدر شرعية أدائية—إعدامات علنية، قمع قاسٍ— تُعاد صياغتها كرموز للقوة والشجاعة والولاء للجماعة. حملة الشرع الساحلية تجسّد هذا المنطق: مقتل نحو 1,500 مدني علوي صُوِّر كعقوبة لبقايا النظام، وخُطّط له بواسطة قوى مرتبطة بالنظام الجديد (وفق تحقيق لرويترز)، لكن أُعيد تأطيره خطابياً كإنقاذ للوحدة.

إن قداسة المنصب تُحوّل الماضي الجهادي إلى صورة «رجل دولة»، ما يفسّر كيف يُعاد تفسير الهفوات والفظائع كقوة أو ضرورة استراتيجية (عبر آليات الإدراك الحامي للهوية، والتفكير الموجَّه بالدوافع). في هذا الإطار، يصبح العنف طقساً قربانياً، يقدم فيه الحاكم دم العدو على مذبح «حماية الجماعة»، مؤكّداً شرعية سلطته عبر الفعل الذي لا يحقّ لغيره الإتيان به.

من أين تأتي الكاريزما

[49] René Girard, *Violence and the Sacred*. Translated by Patrick Gregory. Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1977.
[50] Daniel David Luckenbill, *The Annals of Sennacherib*, University of Chicago Press, 1924.
[51] A. Kirk Grayson, *Assyrian Rulers of the Early First Millennium BC II (858–745 BC)*, Toronto: University of Toronto Press, 1991.
[52] Rykle Borge, *Die Inschriften Asarhaddons, Königs von Assyrien*, Graz: Weidmann, 1956.

يمكن النظر إلى «الرئيس/المحرِّر» بوصفه دوراً يتمتّع باحتياطي من الرأسمال الرمزي (بحسب بيير بورديو) يلتصق بجسد من يشغله. في منظور بورديو، الرأسمال الرمزي هو ذلك الرصيد من المكانة والشرف والاعتراف الذي يتراكم داخل حقل معيّن (ذي معايير متفق عليها، مثل حقل الدولة) وقابل للتحويل إلى أشكال أخرى من الرأسمال (اقتصادي، سياسي، ثقافي). إنه قيمة معترف بها جماعياً، ولا وجود لها إلا في عيون مَن يقرّون بها.[53]

إن دور «الرئيس» أو «المحرِّر» دور مُكرَّس مؤسّسياً، مدموج في البنى السياسية والثقافية التي راكمت تاريخياً رأسمالاً رمزياً. وهذا الرأسمال لا ينشأ من أفعال شاغل المنصب فحسب، بل من المنصب ذاته —بصفته مخزوناً للشرعية التاريخية، وأسطورة وطنية، وذاكرة جمعية لتحريرات أو تأسيسات سابقة للدولة. وحين يشغل شخص ما هذا الدور، «يلتصق» الرأسمال الرمزي بجسده.[54] فتصوّر الجمهور يدمج بين الفرد المتجسّد والوزن الرمزي للمنصب. حتى وإن كان القائد بلا تميّز شخصي أو محدود الكفاءة السياسية، فإن الرأسمال الرمزي المتراكم في «الرئاسة» يغطي شخصيته، منتجاً قدراً من التبجيل أو الهيبة أو الحب. مثال ذلك في التقاليد الأوروبية الوسطى، حيث كان في حفل تتويج الملك يُنظَر إلى التاج كجسم مشحون برأسمال رمزي مقدّس ينقل السلطة إلى أي من يلامسه.[55] ويزداد أثر ذلك في حالة أحمد الشرع، حيث يفعّل وصف «المحرِّر» نصاً أسطورياً–بطولياً متداولاً في الخيال الوطني (مثل شخصية المجاهد، أو البطل المناهض للاستعمار، أو المخلّص المهدوي).

وحين يتجسّد الرأسمال الرمزي في شخص، يصبح أصلًا عاطفياً؛ يولّد الثقة والشرعية حتى في غياب الإنجازات الملموسة. ويهيئ الجمهور لإعادة تفسير الإخفاقات أو التجاوزات على أنها مفهومة أو ضرورية. وهذا «الرصيد» يمكن سحبه مع الوقت، لكنه في البداية يتمتع بمقاومة استثنائية للأدلة المناقضة —ما يفسّر لماذا لا تؤدّي المجازر أو الأخطاء السياسية بالضرورة إلى تآكل المحبة الشعبية.

إن موجة الحب المفاجئة حول أحمد الشرع ليست «كاريزما» بالمعنى الشخصي الضيق عند ماكس فيبر، بل هي تقاطع بين سلطة رمزية قائمة على المنصب المقدَّس. فـ«حماسة المحرِّر» ليست ثمرة «كاريزما» شخصية، بل نتيجة قداسة المنصب. وفي تصنيف فيبر الثلاثي، تقوم السلطة الكاريزمية على تصوّر المواهب الشخصية الفائقة (Gnadengaben) و«التفاني في القداسة الاستثنائية أو البطولة أو السلوك النموذجي لشخص بعينه». أما هنا، فالولاء يبدو مستمداً من خزان مسبق من القداسة متجذّر في دور «الرئيس» و«المحرِّر».[56]

وبلغة بورديو، إنه رأسمال رمزي تراكم مع المنصب عبر الزمن التاريخي: فصورة «الرئاسة» في المخيال الوطني السوري تحوي هيبة الدولة والسيادة وأبوية «حارس الأمة». وعندما دخل الشرع هذا الدور—خاصة تحت رواية «المحرر» الذي خلّص البلاد من حكم الأسد الطويل —التصق به هذا الرأسمال الرمزي، مولّداً تبجيلاً فورياً بلا حاجة إلى إنجازات شخصية مُثبتة.

ما يبدو كاريزما هو في الحقيقة تجسّد لمنصب مُقدَّس مسبقاً—سلطة مُكرَّسة تماماً كما في مسح الملوك بالزيت في أوروبا الوسطى أو طقوس التنصيب في بلاد ما بين النهرين، التي كانت تُقدِّس شاغل المنصب وتحميه من النقد. تعكس الأناشيد الملكية السومرية والأكادية هذه

[53] Pierre Bourdieu, "The Forms of Capital." In *Handbook of Theory and Research for the Sociology of Education*, edited by John Richardson, 241–258. New York: Greenwood, 1986.
[54] Pierre Bourdieu, *Language and Symbolic Power*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1991.
[55] Ernst H. Kantorowicz, *The King's Two Bodies: A Study in Medieval Political Theology*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1957.
[56] Max Weber, Max, *Economy and Society: An Outline of Interpretive Sociology*, Edited by Guenther Roth and Claus Wittich. Berkeley: University of California Press, 1978.

المنطق: ففي «نشيد شولگي أ» يعلن الملك: «لقد اختارتني الآلهة العظام في قلوبها؛ أنا الراعي الذي يجلب السلام لأرضه»،[57] وفي «النشيد الملكي لإشبي–إرّا» يُسمّى الملك «الظل الحامي للشعب» و«الأب الذي يسهر على ذوي الرؤوس السود»،[58] وفي نقوش أسرحدون يصرّح: «لقد وضعتني الآلهة العظام في المُلك؛ عهدت إليّ شعوب الأراضي... من أضربه فهو عدو آشور وعشتار؛ يدي هي يدهما».[59]

تُظهر هذه الصيغ أن المنصب ذاته إناء مقدّس—والإنسان يتألّه بتتويجه، وارثاً الرأسمال الرمزي المتراكم لكل من سبقه. وفي حاضر سوريا، كما في ماضي بلاد ما بين النهرين، فإن التبجيل الموجّه نحو «المحرر» يُفهَم على أنه تفعيل لسيناريوهات سياسية–لاهوتية عميقة— الراعي/الرعية، أبو الدولة، والملك المخلّص— حيث يتغيّر شاغل المنصب بفعل الدور الذي يتولّاه.

الخاتمة: التبجيل السيادي كنظام من التدفقات المترابطة

إن موجة التبجيل المفاجئة والمستمرّة لأحمد الشرع لا تُفهَم على أنها انبثاق عفوي لـ«كاريزما» شخصية، بل كتقاطع منظوماتي لتدفّقات رمزية، وعاطفية، ومعيارية، ودور–أدائية، وتنسيقية يتم تداول بين القائد والجمهور. وضمن إطار نظري–منظوماتي، تتشابك خمسة أنظمة فرعية لإدامة هذا الولاء:

1. **التدفّق الرمزي–التواصلي** –تداول الصور، والألقاب الطقسية، والرموز الجسدية (المشية الواثقة، «بهاء الطلة والهيبة»، الحصان الأسود) بما يجعل القائد مقروءاً في شفرة ثقافية عميقة بوصفه ملكاً وأباً ومخلّصاً.
2. **التدفّق العاطفي–التعبيري** –رهبة جمعية، وإعجاب إيروسيّ، وامتنان، وإحساس بالخلاص تربط الطاقة الوجدانية بالقائد، مولّدة ارتباطاً واعتماداً شبيهاً بالتحويل الأبوي–الرجعي في سياق انعدام الأمن الطويل.
3. **التدفّق المعياري–التنظيمي** –ألقاب مثل «المحرِّر»، و«الرئيس»، و«الوصي» تعمل كرخص للقيادة والإكراه، مغروسة في مناصب تاريخياً مُقدَّسة.
4. **تدفّق أداء الأدوار** –اقتران الهوية المسندة (هو = الأب/الملك/المخلِّص/البطل؛ الشعب = الأبناء/المُنقَذون) يُؤسّس للتبجيل عبر خطاب التوسّل، والبركات، والعهود (البيعة) التي تعكس أيمان الولاء الملكية القديمة.
5. **التدفّق التنسيقي–الإجرائي** –شبكات إعادة التأويل (قنوات حزبية، رجال دين، مؤثّرون) تحيّد التنافر المعرفي عبر إعادة صياغة الأخطاء والفظائع كأفعال حماية، منتجة مناعة من الخطأ تحافظ على الشرعية.

هذه التدفّقات ليست خطيّة، بل تتكوّن في حلقة تغذية راجعة مُعزِّزة (reinforcing feedback loop). فالرأسمال الرمزي للمنصب يزرع الولاء الأولي؛ والولاء يوسّع التسامح مع الإكراه؛ والإكراه—عندما يُقدَّس سردياً—يقوّي الأسطورة الأبوية. ومع الوقت، قد تصل هذه التغذية الراجعة إلى **عتبة إقفال**[60] تجعل النظام يتوالد ذاتياً بغض النظر عن الأداء الفعلي للقائد (كما في دورة الأسد حيث نشاهد العنف الحالي يعيد إنتاج عنف الأسد والتبرير الحالي يعيد تبرير عنف الأسد). والنتيجة هي تكوين سياسي–لاهوتي ضارب في القدم منذ أناشيد

[57] ETCSL (Electronic Text Corpus of Sumerian Literature), 2.4.2.01 *Shulgi A*. Oxford University.
[58] ETCSL 2.5.6.3 *Royal Hymn to Ishbi-Erra*. Oxford University.
[59] Rykle Borger, *Die Inschriften Asarhaddons, Königs von Assyrien*. Graz: Weidmann, 1956.
[60] George E. Mobus, and Michael C. Kalton, *Principles of Systems Science*. New York: Springer, 2015.

شولگي وسجلات الآشوريين، لكنّه مُتوسَّط اليوم بثقافة الميمات والحميمية الطفلية، منتجاً «الأب–الملك» في القرن الحادي والعشرين بوصفه ثمرة تدفّقات منظومية بقدر ما هو ثمرة أي موهبة فردية.

ومع أن الولاء لأحمد الشرع يعمل حالياً كنظام ذاتي–التعزيز من التدفّقات الرمزية، والعاطفية، والمعيارية، والدور–أدائية، والتنسيقية، فإن هذه البُنى ليست عصيّة على الانكسار. يعلّمنا المنظور المنظوماتي أن حلقات التغذية الراجعة الإيجابية تستمر فقط ما دامت شروطها التعزيزية قائمة؛ ويمكن تعطيلها إذا ما ظهر تدفّق معاكس قادر على قطع الروابط الجوهرية أو إضعافها.

هناك نقطتا انكسار أساسيتان تهدّدان هذا البناء «الأب–الملك»:

1. **الفضائح التي تصيب الصورة الأبوية في الصميم** –إذا كان جوهر الدور العاطفي هو الرعاية الأبوية، فإن خيانة هذه الرعاية قد تؤدّي إلى انهيار وجداني سريع. وتشمل هذه الانتهاكات إهمالاً واضحاً للمعاناة العامة، أو أفعالاً تُفسَّر كجبن شخصي أو عجز، أو لحظات سخرية علنية تحطّم هالة الكرامة. في التحليل النفسي، تشكل هذه الحوادث ضربات لـ«اسم الأب» بوصفه ضامناً للحماية والنظام الرمزي. وبمجرّد أن يُظهَر الأب عاجزاً عن أداء دوره البدئي، قد ينقلب التعلّق العاطفي إلى استياء. من الأمثلة التاريخية خسارة جمال عبد الناصر الفجائية لرصيده بعد هزيمة حزيران/يونيو 1967 أمام إسرائيل، حين اهتزّت صورته كـ«راعٍ» و«حامٍ لكرامة العرب» حتى أن موجة إعادة تأييد عاطفية – شبه مُخطَّطة – كانت ضرورية لإبقائه في الحكم.
2. **انكسار قداسة المنصب نفسه** –بما أن جانباً كبيراً من الولاء مرتكز على الرأسمال الرمزي للمنصب، فإن أزمة تُجرّد الدور ذاته من شرعيته قد تكسر السحر. قد يحدث ذلك عبر إذلال دولي (خضوع ظاهر لقوى أجنبية، فقدان أراضٍ، أو معاهدة تُرى كانتصار للطرف الآخر)، أو انشقاق في النخبة الداخلية (علماء دين، قادة عسكريون، أو شخصيات نافذة تُعلن كسر الولاء). في هذه الحالة، يتوقف المنصب عن العمل كإناء مقدَّس؛ وبانعدام الهالة المُكرَّسة للدور، تتبخّر الكاريزما المتجسِدة. بالنسبة لصدام حسين، كانت هزيمة 1991 الساحقة والانسحاب المتلفز من الكويت والتي أُعيد تأطيرها داخلياً كـ«انسحابات تكتيكية» ضربة مشابهة، لكن هالة اللا–هزيمة تضررت نهائياً، مما مهّد لانشقاقات لاحقة. وفي ليبيا، لم يكن تقدّم الثوار المدعوم من الناتو عام 2011 يهدّد حياة القذافي فحسب، بل جرّد منصب «قائد الثورة» من قدسيته الثورية، وحوّل عروضه الخطابية إلى مادة للسخرية.

هذه الأنماط موثّقة تاريخياً: في «تاريخ ويدنر» (الأكادية، الألف الأول ق.م.) يُدان الملوك لأنهم «أهملوا رعاية شعب الآلهة»، فيتعرّضون لهجران إلهي؛[61] والمصادر الوسيطة الأوروبية تسجّل ملوكاً يفقدون مسحتهم بعد إذلال عسكري أو تمرّد أرستقراطي؛[62] والمصادر الإسلامية الوسيطة تصوغ سقوط الحكّام بمفردات أبوية: فقد السلطان المملوكي الناصر فرج شرعيته حين جعلته المجاعة وغزو تيمور يبدو عاجزاً عن

[61] Grayson, A. Kirk Grayson, *Assyrian and Babylonian Chronicles*. Locust Valley, NY: J. J. Augustin, 1975. Jean-Jacques Glassner, *Mesopotamian Chronicles*, Edited by Benjamin R. Foster, Writings from the Ancient World 19. Atlanta: Society of Biblical Literature, 2004, pp. 134–137, under the heading *Chronicle of Esagila* (Weidner Chronicle).
[62] Kantorowicz 1957.

«حماية القطيع»؛ كما شهد قادة شعبويون معاصرون انهيار شرعيتهم بين ليلة وضحاها حين أعادت الفضائح تأطيرهم كـ«آباء سيئين» أو «ملوك زائفين».

في الحالة السورية، فإن صلابة ولاء الشرع أمر مشروط لا محتوم. فالحلقات التعزيزية نفسها التي تقدّسه الآن يمكن أن تنقلب تحت الصدمات المناسبة —فتتحوّل التدفقات الرمزية–التواصلية من المدح إلى السخرية، والتدفّقات العاطفية–التعبيرية من الارتباط إلى الخيبة، والتدفّقات المعيارية–التنظيمية من الطاعة إلى الرفض. ومع تراكم الانكسارات —سواء عبر الإذلال، أو انشقاق النخبة، أو خيانة الأبوة— يتوقف المنصب المقدَّس عن أن يكون وعاءً للرأسمال الرمزي، ويمكن لنظام «الأب–الملك» أن ينهار بسرعة مدهشة.